

« الآثار السياسية والاجتماعية لنظام المصادرات في العصر العباسي »

الدكتور محمد سعيد رضا
كلية الآداب - جامعة البصرة

مفهوم المصادرة:

تأتي كلمة المصادرة في كتب الفقه على انها استرداد للمغصوب من اموال الغير سواء كانت بالقيمة او بالمثل ، وللحاكم الحق في تقرير ذلك . وبما ان الخليفة ولي امر المسلمين ، فهو الحاكم الذي يملك صلاحية استرجاع الاموال . من تأكد لديه بأنه غصب اموال الناس ^(١) ، مصداقا لقوله تعالى (فمن اعتدى عليكم فأعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم) ^(٢) لكن المصادرة في لغة الكتاب واصحاب الدواوين قد لا تنحصر في استرجاع المال المغصوب من الغاصب بالمثل او القيمة فقط ، بل تعني المطالبة بالمال عموما ، أي استخراج الاموال من الغير بغض النظر عن واقعها الشرعي أو غير الشرعي ، وهو تعبير يتصف بالشمول والعمومية . كما جاء ذلك في قول ابن منظور (صودر فلان العامل على مال يؤديه اي فورق على مال ضمنه) ^(٣) . وبمثله قال الزبيدي (وصادر على كذا من المال - طال به) ^(٤) .

جذور المصادرة :

ان دراستنا لنظام المصادرات بشكله المتبلور والمؤثر في العصر العباسي يقضي ان نتقصى جذوره واسباب نشوئه منذ بداية ظهور الدولة الاسلامية وذلك من خلال ظاهرتين متلازمتين لعبتا دورا كبيرا في ظهور هذا النظام وتطوره على مر العصور الاسلامية . اولاهما : نمو الخزينة الخاصة الى جنب بيت مال المسلمين ومنافستها له في موارد العامة . والظاهرة الثانية:

تتخصص في نمو طبقة غنية في مجال الزراعة ثم التجارة والصناعة كان لها دور مؤثر على إيرادات الخزينة العامة للدولة من جهة والاخلال بالتوازن الاقتصادي والاستقرار الطبقي للمجتمع الاسلامي من جهة أخرى^(٥).

نشأت الدولة الاسلامية في مهدها بسيطة في اجهزتها المالية والادارية يضفي عليها طابع ازهر والتشريف المستوحى من سيرة الرسول (ص) . فلم يكن عندها ثروة حقيقية يخزن فائضها في بيت مال مستقل ، حيث كانت موارد الدولة قليلة لا تتعدى الزكاة من مواد عينية^(٦) أو قيمة ذلك من مال أو جملة من الابل أو الخيل أو الماشية كانت تطلق في الحمى وتوسم بميسم الرسول^(٧) . ويلحق بها مال الصدقة التي كانت تفرق في اهلها^(٨) . هذا بالإضافة الى غنائم الغزوات التي زادت بعد موقعة بدر الكبرى . وجميعها كانت تعد مالا للمسلمين كافة . وقد حفظت بأمان لدى الرسول (ص) الذي كان يفرق بين ماله ومال الجماعة تفريقا واضحا جدا^(٩) ، فكان في يوم الاضحى مثلاً يذبح كبشين واحد عن المسلمين كافة فيقول (واحد عن امتي جميعا من شهد لك بالتوحيد وشهد لي بالبلاغ) وواحد عن نفسه وآله ويقول (هذا عن محمد وآل محمد)^(١٠) . لذلك كان الخلفاء الراشدون حريصين أسوة بالرسول على التمييز بين خزائنها الخاصة وبيت مال المسلمين لاختلاف أوجه الانفاق منهما . بل وضعوا أموالهم الخاصة في خدمة الجماعة الاسلامية ومصالح الدولة العليا ، كما تميز المجتمع المدني على العموم ببساطة العيش والانفاق في سبيل الله واعلاء كلمة الحق^(١٢) .

وعندما فتح المسلمون العراق والشام ومصر وفارس ، وردت عليهم الاموال ذهاباً وفضة فأدهشتهم كثرتها وتنبهوا لها^(١٣) ، ولتكاثرها في الامصار المفتوحة^(١٤) وضع الخليفة عمر الديوان سنة ٢٠هـ / ٦٤٠م لتصريف الاموال المتجمعة في الوجود المفيدة والتنظيم العطاء من بيت المال لكافة

المسلمين باعتبار السابقة في الاسلام والقراية من النبي (ص) على ان يكون الحد الأدنى للمعطاء كافيا لعيش مقبول وعلى أن تكون الفوارق معتدلة فلا تؤدي الى تباين ملحوظ في المعاش هذا مع احتفاظ الخليفة بخزينة الخاصة الناتجة عن استحقاقه من العطاء والتفريق التام بينها وبين الخزينة العامة التي احتفظ لنفسه بالاشراف المطلق عليها • ولما كانت بيوت الاموال في الامصار الاسلامية تحت ادارة عمال الخراج فقد أظهر الخليفة عمر حرصا شديدا في الاشراف على جباية الخراج^(١٥) • فكان يحاسب الولاة وعمال الخراج حسابا عسيرا في المواسم ، وبلغ من شدة مراقبته لعماله انه كان يحصي اموالهم قبل توليتهم ، فاذا انتهت ولايتهم أحصى ثروتهم من جديد وما زاد عنها حاسبهم عليها ، فاذا ثبت لديه أنها أنتهت من غير وجوهها المشروعة صادرهم في كلها او بعضها وردها الى بيت المال وكانوا يسمونها (مقاسمة او مشاطرة)^(١٦) وهو لا يرى في ذلك غنا لهم ، لانه كان ينبغي من المصادرة ضمان الصالح العام وتطبيق مبدأ الاسلام العادل كما فعل ذلك مع سعد بن ابي وقاص عامله على الكوفة^(١٧) • وابي هريرة عامله على البحرين وعمر بن العاص عامله على مصر^(١٨) ثم عياض بن غنم^(١٩) • وبذلك استطاع عمر ان يحافظ على مستوى مالي مستقر في المجتمع وان يجعل بيت مال المسلمين المصدر الوحيد للمول لكافة اهل العطاء وفقا للتريعات الصادرة عن الخليفة، وأدى ذلك الى استمرار التوازن القائم بين موارد بيت المال ومصروفاته • كما جعل مصادر الثروة الطبيعية ملكا للامة ووفقا عليها •

وقد ظل المسلمون يتمثلون بساطة الخلفاء الراشدين حتى ان الاصوات قد ارتفعت محذرة ومنذرة وداعية الى التزام البساطة والتواضع في العيش حين اجتمع لدى البعض القليل جدا ثروات تجلب الانتباه - من التجارة بالدرجة الاولى^(٢٠) - في أواخر أيام الراشدين! لاسيما وقد أشيع ان هذا الاثراء المفاجيء كان على حساب بيت مال المسلمين^(٢١) •

لكن الاشراف المطلق للخليفة في العصر الراشدي على بيت المال مهد
انسيل الخليفة في العهد الاموي وعماله على الامصار ان يزيلوا في اغلب
الاحيان الحواجز الموضوعة بين الخزنتين العامة والخاصة ، وان يخلطوا
بين ايرادانها ، وان يسعوا لتنمية موارد خزائنها الخاصة مدفوعين بحاجتهم
الماسة الى الاموال تحت ظل الدولة الجديدة ومتطلباتها الحضارية المعقدة .
اذ يذكر اليعقوبي وابن عبد ربه ان معاوية بن أبي سفيان كتب لعامله على
خراج العراق ان يصطفي له اموال الناس من الصفراء والبيضاء أي الذهب
والفضة^(٢٢) . وبمثل ذلك كتب الى غيره من الامصار^(٢٣) . لاسيما وان
موارد العراق كانت عماد الخزينة الاموية في الشام^(٢٤) . وربما كان معاوية
مدفوعا الى ذلك بحاجته الماسة الى الاموال لتثبيت دولته الفتية الكثيرة
الاعداء ، حتى انه أعاد هدايا النوروز والمهرجان في القسم الشرقي
من أرض الخلافة الاسلامية على الرغم من كونها نوعا من الضرائب
التقليدية الموروثة من العهد الساساني^(٢٥) . وقد مهد بذلك
لولاية الامصار ان يتقبلوا هدايا مماثلة من النبلاء
في ولاياتهم^(٢٦) . مما شجع اولئك الولاة وجرائهم على الاتراء غير
المشروع ، حيث كانوا (لا يدعون فرصة للاتراء وجمع الاموال
بمر بهم دون ان يتنزهوها ولا يترددون في ارهاق الاهالي ، حتى اذا جاء
وقت الحساب ادوا الى الحكومة جزءا من تلك الاموال ليقمى لهم الكثير^(٢٧)
وكانوا يبعثون بخمسين الف الذي يحصلون عليه في البلدان التي يفتحونها
الى بيت المال في دمشق ويقون لانفسهم اربعة اخماسه^(٢٨) . الامر الذي
حمل المهلب بن أبي صفرة ان يشترط على اهل البصرة ان يكون له خراج
كل ما غلب عليه من الارض ثلاث سنوات مقابل قتاله الخوارج^(٢٩) .
وهكذا استمرت سياسة جمع الاموال بأشكاله المختلفة طيلة العصر الاموي
عدا فترة خلافة عمر بن عبدالعزيز الذي عرف بمحاسبته الشديدة
لولاياته^(٣٠) .

اما الظاهرة الثانية : فتجلى في التمايز الطبقي المتنامي بظهور الاقطاعية الزراعية في المجتمع الاسلامي متمثلة بتهافت اصحاب السلطة والثروة من العرب على امتلاك الاراضي في البلاد المفتوحة وخاصة العراق * ومع ان بعض المؤرخين يقرنون بداية ظهور هذه الطبقة الملاكية الصغيرة ذات النفوذ السياسي بالنصف الثاني من خلافة عثمان على اعتبار ان عمر بن الخطاب الذي وضع قواعد ملكية أرض الدولة قد حرم على العرب المسلمين اقتناء الضياع المزروعة^(٣١) كي لا يرتبطوا بالارض ويشغولوا بالعمارة ويتسرب الثرف الى قلوبهم فيقعدهم عن الحرب والرحيل^(٣٢) . وذلك حينما اطلق الخليفة عثمان الحرية لمن أراد من العرب المسلمين ان يقتني ما شاء من الارض في الامصار المفتوحة ، مما أدى بدوره الى انتقال اكثر الاراضي البخسبة الى أفراد قلائل اصبحوا ذوي ثروات ضخمة^(٣٣) ، حيث يقول الدوري (ان توسع عثمان في اقطاع الاراضي لبعض الشخصيات ولد تدمرا ورد فعل ، وشهدت هذه الفترة حصول ثروات كبيرة في ايدي جماعة محدودة من المسلمين بينهم بعض الشخصيات المعروفة ، في حين ان هناك مجموعات كبيرة في وضع مالي متواضع)^(٣٤) . الا ان أحمد علبى يرى ان الخليفة عثمان اقطع الاقطاع من أرض الصوافي^(٣٥) - لاعتقاده أن الاقطاع على سبيل الاجارة - بأعتبار ان هذه انصوافي حقوقيا تعود الى كافة المسلمين ويكون باعنا على استثمارها * بدليل ان غلة هذه الصوافي المقطوعة بلغت في الكوفة وحدها خمسين مليون درهم على عهد عثمان^(٣٦) .

لكن الظروف السياسية والاقتصادية قد تغيرت الى حد كبير في العهد الاموي حيث استقرت القبائل في المدن ، وأخذ رجالها يمتهنون الزراعة ، وأصبح رؤساؤها يمتلكون الاراضي الواسعة ، كما نشطت التجارة وادرك

اصحابها اهمية الارض فأتجهوا الى امتلاكها أيضا ، هذا بالاضافة الى حرية الخليفة في التصرف بأرض الموات والصدوا في باعتبارها اراضي أميرية والتي كانت تعد من اجود انواع الاراضي الزراعية في تلك البلدان ، بل جعلوها من ضياع الخلافة فأقطعها معاوية لاهله وذويه^(٣٧) . وسار على سياسته هذه من تبعه من خلفاء بني امية حاشا عمر بن عبدالعزيز^(٣٨) . وبذلك تكونت مجموعة مالكة لمساحات اقطاعية واسعة^(٣٩) مما حدا بأحد الكتاب المحدثين ان يقول (ولم يمضي على الدولة الاموية خمسون سنة حتى اصبحت اخصب اراضي العراق في ايدي بني أمية أو خلفائهم او مواليهم . واستغلوها بواسطة اهل العراق في ظروف غير ملائمة)^(٤٠) . وكان لهجرة الفلاحين من القرى الى المدن أثر على انخفاض قيمة الاراضي وفتح مجال اوسع للملاكين جدد من العرب^(٤١) .

ساستهدف الامويون من سياستهم الزراعية هذه تحقيق هدفين أحدهما: الاهتمام باستغلال الارض الزراعية وشؤون الري وتوسيع رقعة الارض المزروعة في الامصار المفتوحة لتوفير موارد خراجية ثابتة للخزينة الاموية، ولرفع نسبة الانتاج الزراعي عموما بما يهيء للدولة رصيда ماليا مدخرا يلتجئ اليه الخليفة عند الحاجة كما حصل لمعاوية حين استصفى الناس أموالهم ولعبد الملك بن مروان عندما صادر الفاض من ايرادات اهل الجزيرة تحت وطأة الحاجة الملحة الى الاموال حيث يقول ابو يوسف (فلما ولي عبد الملك بن مروان بعث الضحاك بن عبد الرحمن الاشعري فأستقل ما يؤخذ منهم فأحصى الجماجم وجعل الناس كلهم عمالا بأيديهم وحسب ما يكسب العامل سنته كلها ثم طرح من ذلك نفقته في طعانه وأدمه وكسوته وحذائه وطرح ايام الاعياد في السنة كلها ، فوجد الذي يحصل بعد ذلك في السنة لكل واحد اربعة دنائير فألزمهم ذلك جميعا وجعلها طبقة واحدة ، ثم حمل الاموال على قدر قربها وبعدها فجعل على كل مائة جريب زرع مما قرب

دينارا ، وعلى الزيتون على كل مائة شجرة مما - قرب دينارا ، وعلى كل مائتي شجرة مما بعد دينارا ، وكان غاية البعد عنده مسيرة اليوم واليومين واكثر من ذلك ، وما دون اليوم فهو القرب . وحملت الشام على مثل ذلك ، وحملت الموصل على مثل ذلك^(٤٢) . وثانيهما : هو خلق طبقة مالكة لمساحات واسعة من الاراضي كي يجعلوها منها طبقة ممولة للحكومة أيام الازمات الاقتصادية . على ان هذا النمط من الاستغلال الزراعي للارض اعطى للدولة مردودا سلبيا في معظم الاوقات انعكست نتائجه على الاوضاع المالية والاجتماعية للبلاد حيث تقلصت موارد بيت المال ، وتكدست الثروات الطائلة لدى فئة قليلة من الناس وذلك عندما أصبحت تلك الاقطاعات عشرية تدفع ١٠٪ من الحاصل في حين كانت معظمها اراضي خراجية تدفع ٢٥٪ من الحاصل وقد تصل ضريبتها في بعض الاوقات الى (٤٠-٥٠٪)^(٤٣) منه ، خاصة بعد ان احرق الناس الديوان في حركة ابن الاشعث سنة ٨٢هـ / ٧٠١م حيث ذهب الاصل ودرس ولم يعرف واستولى كل قوم على قطائعهم المسجلة وصارت من أرض العشر وضاعت ملكيتها العامة^(٤٤) . كما ان تلك الاقطاعات لم تطور في طرق استغلال الارض بل اعتمدت الاساليب الزراعية البدائية مما ادى الى عدم التوازن في الانتاج وتوزيع السكان^(٤٥) . لذا تعرضت الدولة الاموية الى ازمات مالية خطيرة نتيجة لتقلص موارد الخزينة العامة من الجباية وزاد في شدتها اقبال أهل الذمة على دخول الاسلام بأعداد كبيرة تحررا من ضريبة الجزية ، مما دفع الحكومة الى اعادة النظر في القوانين الضرائبية القديمة، وتحقيق نظام منسجم موحد للضرائب في امصار الدولة الاسلامية من حيث الاسس ولدرجة بعيدة في التطبيق ، بغية توفير الاموال اللازمة لتذليل مشاكل الخلافة^(٤٦) .

وبخاصة في زمن عبدالملك بن مروان (٦٥-٨٦ هـ / ٦٨٥-٧٠٥م) الذي اقدم على تعريب الدواوين وطبع النظام الضرائبي ثم النقدي بطابع عربي . كما

سن الادويون نظاما دقيقا للاشراف على جباية الاموال ، ففي عهد عبدالملك
ايضا كان يعمل تحقيق دقيق مع الولاة والعمال ممن عرفوا بأبترازهم الاموال
لانفسهم والائراء على حساب بيت المال او خزينة الخليفة الخاصة • عند
اعتزالهم اعمالهم الادارية ، ومع الجباة وموظفي الخراج وصغار الموظفين
ممن لا هم لهم الا الائراء بالاختلاس والسلب • حيث استطاع عدد كبير
منهم جمع ثروات ضخمة^(٤٧) . وكان للتحقيق مع هؤلاء اماكن خاصة
تسمى (دور الاستخراج)^(٤٨) .

ومن الجدير بالاشارة ان دور الاستخراج هذه كانت احيانا تصدر
الولاة والبارزين من رجال الدولة نتيجة لتعصب بعض خلفاء بني أمية الى
كل من القيسية واليمانية ، حيث كان الخليفة المنتخب يحاسب الولاة او العمال
من الطرف الآخر المناهض له^(٤٩) .

كانت هذه الطريقة من المصادرة بداية لسنة أتبعتها العباسيون فيما بعد،
حيث كان الامويون يفسحون لولاتهم حرية جمع الاموال خلال
مدة ولايتهم وبعد ان يتخموا بها كانوا يصادرونهم عليها **بجبة** محاسبتهم
عما جنوا بأساليب غير شرعية •

لذا لا يمكننا اعتبار المصادرة في العهد الاموي احدى السبل الكفيلة
بتنظيم الحياة المالية والاقتصادية للدولة ، **لذا** كانت وليدة التعصب القبلي
بين الخلفاء ، والخروج عن تطبيق الاساليب الشرعية في جباية الخراج التي
حاول عمر بن عبدالعزيز (٩٩-١٠١هـ / ٧١٧-٧١٩م) أن يضبطها بأعادته
تنظيم الضرائب وفق مفاهيم الاسلام ، حين رفع الجزية عنمن يعتقد الاسلام
من اهل الذمة ، وابقى الخراج على الارض باعتباره ايجارا للارض الخراجية
يدفعه كل من يزرعها سواء كان ذميا او مسلما ، عربيا أو غير عربي ، مؤكدا
على العدالة في جبايتها مبتغيا ضمان توفير مورد دائم للخزينة العامة بمنعه

تغير صفة الارض الخراجية بالبيع والحد من الاثراء الشخصي على حساب موارد بيت مال المسلمين^(٥٠)، لكن تنظيمات عمر هذه لم يكتب لها البقاء، اذ سرعان ما أدى التوسع في امتلاك الاراضي، وسوء الجباية الى خلق نوع من القلق الاقتصادي والتذمر الاجتماعي عبر عنها يزيد بن الوليد بن عبد الملك عند خروجه على الخليفة الوليد بن يزيد بن عبد الملك سنة ١٢٦هـ ٧٤٤م مطالباً اياه بتطبيق العدل ومنكراً عليه تصرفاته وتصرفات العمال والجباة في تهديدهم الفلاحين والزراع ومصادرة اموالهم واجلائهم عن أراضيهم^(٥١)، علماً بأن الامويين لم يتعرضوا الى ثروات التجار والصيارفة^(٥٢)، ما دامت احتياجاتهم المالية كانت تغطاً من ايرادات الضريبة الخراجية على الارض الزراعية بالدرجة الاولى •

المصادرة في العهد العباسي

كان النظام المالي والاقتصادي في العصر العباسي امتداداً للعصر الاموي لذلك بقيت اسباب المصادرات قائمة في هذا العصر مع استحداث اسباب اخرى اوجدتها الظروف السياسية المتغيرة للمجتمع الاسلامي • حيث أدى استمرار سلطة الخليفة المطلقة على بيت مال المسلمين الى انعدام القيود بين بيت مال المسلمين وخزينة البلاط الخاصة مما هيا ^{سبب} للخلفاء ان يهبوا ويحجزوا ويبدخوا ويسرفوا من بيت المال^(٥٣) بلا حساب • لذا لم يتورع الخليفة الهادي مثلاً في اجازة عيسى بن دأب بثلاثين الف دينار من بيت مال المسلمين^(٥٤) • ولم يبال بعض خلفاء بني العباس في الانفاق بأسراف على بناء قصورهم وتزيينها بفاخر الرياش والغلمان والجواري الحسان^(٥٥)، باعتبار ذلك أبهة الدولة ومظهرها اعظمها حتى أثاروا بفعالهم معارضة بعض الفقهاء والورعين من رجال الدولة الداعين الى البساطة في العيش والزهد في الدنيا امثال ابي سفيان الثوري الذي حذر الخليفة المهدي من الاسراف في

الاتفاق بما يشبه كلام ابي ذر الغفاري^(٥٦) معاوية من قبل وذلك حين دخل عليه بمكة قائلاً (بلغني ان عمر بن الخطاب أنفق في حجه اثني عشر ديناراً وانت فيما انت فيه! فغضب المهدي) وقال : تريد ان اكون مثل الذي انت فيه؟ فقال (الثوري) : فأَنْ لم تكن في مثل ما أنا فيه ففي دون ما انت فيه^(٥٧) . فكان لاقبال الخلفاء ورجال دولتهم المضطرد على الترف والرخاء أثر على رفع سبة الاتفاق من الخزينة العامة ، بالإضافة الى تزايد المصروفات العامة نتيجة للتقدم الحضاري واتساع المملكة وكثرة ادارتها وارتفاع نفقاتها^(٥٨) .

لاسيما ان ابواباً جديدة للاتفاق استجدت للخزينة العامة مثل نفقات الحرمين ورواتب القضاة في الممالك وولاية الحسبه باعتبار الخليفة هو الرئيس الاعلى للمدين في العالم الاسلامي والمسؤول عن هؤلاء اضافة الى دفع رواتب اصحاب البريد في جميع انحاء البلاد وتسديد نفقات الثغور التي بلغت ايام المقتدر (٢٩٥-٢٣٠ هـ / ٩٠٧-٩٣٢م) نصف مليون دينار ، وكانت جميعها في صدر الدولة العباسية تغطي من اموال الغنائم وايرادات الخراج المحلية لتلك الامصار^(٥٩) . ومن يقرأ ميزانية علي بن عيسى لعام ٣٠٦ هـ يجد فيها نفقات جديدة قد لا يجدها في ميزانية المعتضد لسنة ٢٧٩ هـ^(٦٠) وهذا يدل على ان النفقات كانت تستجد وتتطور مع التقدم الزمني للدولة العباسية . اصف الى ذلك قلة موارد الخزينة وخاصة في فترات ضعف الخلافة العباسية ، ابان الفوضى العسكرية . وانفصال ولايات المملكة الاسلامية في المشرق والمغرب^(٦١) ، وحجب ولايتها المستقلين الاموال عن الخزينة المركزية مما سبب قلة واضحة في ايرادات الخزينة وتعرضها لازمات كثيرة جعلتها في معظم الاحيان تشرف على الافلاس التام^(٦٢) .

وازاء هذا الوضع المضطرب للخزينة المركزية فقدت الدولة عنصر الموازنة في سياستها المالية بين مواردها ومصروفاتها مما جعلها تضيق في

مناهات عديدة وتعرض لازمات مالية واقتصادية كثيرة . حيث كان يقابل الارتفاع المستمر في المصروفات انخفاضاً لحوظ في نسبة الإيرادات السنوية للدولة فكانت مجموع الاموال التي تحمل للرشيـد سنوياً تزيد على ٦٥٠ مليون درهم كما اشارت الى ذلك قائمة عمر بن مطرف الكاتب التي رفعها الى الوزير يحيى بن خالد البرمكي^(٦٣) . في حين بلغت في عصر المأمون ٣٩٨٨٥٥٠٠٠ درهماً تقريباً وفي عصر المعتصم بلغت ٣٨٨٢٩١٣٥٠ درهماً^(٦٤) واستمر هذا التناقص يلزم موارد الخزينة المركزية على مر السنين المتعاقبة ، يوضح ذلك التباين الكبير بين قائمة الخراج التي اوردها بن حوقل^(٦٥) والخاصة بإيرادات الخراج العائدة الى الخزينة المركزية ببغداد عام ٣٥٨هـ/٦٦٨م ومقدارها (٦٢١٥٠٠٠٠) درهماً وبين إيرادات الخراج في قائمة الجباية التي قدمها الوزير علي بن عيسى سنة ٣٠٦هـ/٩١٧م الى الخليفة المقتدر بالله والتي بلغ مجموع الجباية فيها (١٤٥٠١٩٠٤) دينار اي ما يعادل (٥٦٠، ٥٢٨، ٢١٧) درهماً على اعتبار ان الدينار يساوي ١٥ درهماً يومذاك^(٦٦) . ويعزى هذا التناقص الى الاسباب الالفة الذكر، ولما اصاب النشاط الزراعي من وهن وشلل على أثر اضطرابات الاوضاع السياسية واستفحال التباين الطبقي وانتقال موارد الدولة الزراعية الى اصحاب الاقطاعيات الواسعة الذين زادت وطأتهم على المجتمع ايام التسلط التركي وبعد مقتل المتوكل (٢٤٧هـ/٨٦١م) على وجه الخصوص^(٦٧) . ثم هيمنة الاقطاع العسكري على سبيل الانتاج الزراعي ابان التغلب البويهى والسلجوقي على العراق . حيث وزعت الاراضي والقرى على الجند والقادة عوض رواتبهم وبذلك يقول مسكويه (وفي هذه السنة - ٣٣٤هـ/٩٤٥م- شغب الديلم على معز الدولة شغباً قبيحاً فضمن اطلاق اموالهم في مدة ضربها لهم، فأضطروا الى خبط الناس واستخراج الاموال من غير وجوهها ، فأقطع قواده

وخواصه واتراكه ضياع السلطان وضياع المستترين وضياع ابن شيرزاد وحق بيت المال في ضياع الرعية - أي عامة الاراضي - وصار اكثر السواد مغلقا وزالت ايدي العمال عنه ، وبقي اليسير منه من المحلول ، فضمن واستغني عن اكثر الدواوين فبطلت^(٦٨) .

فأدى كل ذلك الى تركيز الاموال لدى الطبقة الاقطاعية الزراعية • مع ظهور طبقة تجارية غنية جدا بسبب تصاعد النشاط التجاري في هذا العصر^(٦٩) بدعم الخلفاء العباسيين له من خلال ادخالهم مظاهر الترف الى بلاطاتهم^(٧٠) ، وتقليد الاغنياء لهم في اسلوب حياتهم ، لذلك تبلور النشاط التجاري على شكل شركات تجارية كبيرة ، تميز رجائها بأمتلاكهم اموالا طائلة تقدر بملايين الدنانير الذهبية التي لفتت نحوهم انظار الحكام كلما أعوزتهم الازمات الاقتصادية الى الاموال ، حتى وجدوا في ثرواتهم تلك خير مورد لسد عجز الخزينة متبعين في ذلك طرقا مختلفة لاستخراج الاموال منهم وبذلك يقول الصابي (وقد تعددت وسائل استحصال الاموال عن طريق المصادرة والاستصفاء بحيث اصبح كل صاحب منصب او مال عرضة للمصادرة)^(٧١) .

١ - المصادرات المباشرة

ذكرنا ان المصادرة المباشرة للاشخاص لم تكن غريبة عن المجتمع الاسلامي مع اختلاف صيغها واساليبها واهدافها • ففي عهد الخليفة عمر كانت لا تعدى كونها عملية تشذيب لاموال العمال من الزيادة التي تحصل أثناء قيامهم بوظائفهم وسموها بالمقاسمة او المشاطرة • وفي العصر الاموي تنوعت اغراضها واساليبها وسميت بالاستخراج وكانت مقتصرة على العمال بصورة خاصة • لكن الحال تغير في العهد العباسي حيث أصبح الهدف الرئيس للمصادرات المباشرة سد نقص في ميزانية الدولة لقاء ازدياد نسبة

الانفاق الحكومي وقلة الإيرادات • إضافة الى أسباب أخرى قد لا تقل عما أسلفنا أهمية • كما تنوعت شخصيات المصادرين وأتسعت دائرة المصادرات • فلم تبق المصادرات المباشرة تقتصر على العمال بل شملت كبار رجالات الدولة من الوزراء والولاة والكتاب والحجاب وتعدت الى اغنياء المجتمع وعلى رأسهم التجار والنساء الموسرات من امهات الخلفاء وزيجانهم على وجه الخصوص • لاسيما ان الخليفة قد اصبح في فترات السيطرة الاجنبية البويهية منها والسلجوقية على العراق • أي بعد فقده للسلطة التنفيذية في البلاد من المصادرين على اموالهم في حين كانت قبل ذلك لا تتم المصادرات للاشخاص الا بتوقيعه ولا تنفذ الا بأمر منه • وسنتطرق بايجاز لكل صنف من المصادرين في العهود العباسية المختلفة تباعا :

أ - مصادرة رجال الحكومة البارزين:

قد يلتقي الخط العام لمصادرة موظفي الدولة البارزين في العصر العباسي الاول مع نظام الاستخراج في العصر الاموي لتشابه الاغراض وتطابقها، وذلك لان الخلفاء في هذا العصر عمدوا الى مصادرة اموال عمالهم ووزرائهم لاسترجاع ما استولوا عليه من غير وجه الحق - لم تكن الخزينة يومذاك تشكو افلاسا - حيث كان المنصور يقبض اموال عماله بعد العزل ويودعها (بيت مال المظالم) الذي انشأه لهذا الغرض ، وربما تولى الخليفة بنفسه النظر في المظالم كما فعل الخليفة المهدي ثم قلده الهادي والرشيد والمأمون والمهتدي من خلفاء بني العباس^(٧٢) • وخاصة بالنسبة للعمال الذين كانوا يكسبون عن طريق الابتزاز والاتجار بأصناف البضائع والاختشاب وغيرها مستغلين سلطتهم في مناصبهم^(٧٣) • او بفرضهم انواع الضرائب التي كانوا يتدعونها ويجبونها لمرات عديدة في السنة كضريبة المكوس التجارية حيث ذكر المقدسي ان ثلث اموال تجار اليمن كان يذهب الى السلطان^(٧٤)، ويعني

بذلك العمال على تلك البلاد او يطالبون بأضعاف ما كانوا ينفقونه على انجاز المصالح العامة كبناء بيت او اقامة جسر او حفر ترعة^(٧٥) . فضلا عن اغتصاب الضياع وغيرها^(٧٦) . وما قد يتجمع لهم من فروق الاموال التي يقبضونها من الخراج بين الفضة والذهب او الاخذ الكيفي التعسفي لاهل القرى المشمولة بدفع الخراج وبذلك يقول ابو يوسف (انما مذهبهم أخذ شيء من الخراج كان او من اموال الرعية . ثم انهم يأخذون ذلك فيما يبلغني بالعسف والظلم والتعدي ، ثم لا يزال الوالي ومن معه قد نزل بقرية يأخذ أهلها من نزله بما لا يتقدرون عليه ولا يجب عليهم حتى يكلفوا ذلك فيجحف بهم . ثم قد بعث رجلا من هؤلاء الذين وصفت لك انهم معه الى رجل ممن له عليه الخراج ليأتي به فيأخذ منه الخراج فيقول له قد جعلت لك ان تأخذ منه كذا وكذا حتى لقد بلغني أنه ربما وظف له أكثر مما يطلب به الرجل من الخراج فاذا أتاه ذلك الموجه اليه قال له : اعطني جعل اندي جعله لي الوالي فأني جعلي كذا وكذا . فأني لم يعطه ضربه وعسفه وساق البقر والغنم ومن امكنه من ضعفاء المزارعين حتى يأخذ ذلك منهم ظلما وعدوانا وهذا كله ضرر على اهل الخراج ونقص للقي مع ما فيه من الانثم^(٧٧) .

لهذا بلغت اموال محمد بن سليمان عامل الرشيد على البصرة - على سبيل المثال - خمسين مليون درهم سوى الضياع والدور والمستغلات^(٧٨) ؟ فقبضها الرشيد بعد موته^(٧٩) . وبلغت اموال علي بن عيسى بن ماهان ثمانين مليون درهم^(٨٠) . صادره الرشيد عليها بعد عزله واقصائه وحملت مع أثاثه على ١٥٠٠ جمل اضافة لعشرين مليون درهم كان ابنه عيسى بن علي قد دفنها في بستان داره ببلخ^(٨١) .

وكان الخليفة يصادر في بعض الاحيان من يروم الانتقام منهم وافقارهم من منافسيه على الخلافة والسلطان ، كما فعل المعتصم بوزيره

الفضل بن مروان الذي صودر بتحريض من ابراهيم الهفتي نديم الخليفة الخاص وذلك لتهاون الوزير بأعطائه المال المقرر له من قبل الخليفة حيث قال الهفتي للخليفة (٠٠٠ والله ما أفلحت بعد فأنت مالك من الخلافة الا الاسم والله ما يجاوز امرك أذنك • انما الخليفة الفضل بن مروان الذي يأمر فينفذ أمره من ساعته) فحصل هذا في نفس المعتصم وقبض على الفضل بن مروان واخذ منه من الاموال ما لا يحصى ونفاه حتى قيل ان المعتصم قال: ما كنت أعلم ان في الدنيا من له مثل هذا المال (٨٢) • وقد فعل الواثق مثل هذا بسبعة من كتابه تداركا لما قد يصيبه منهم ما اصاب الرشيد من قبله على يد البرامكة في احتجائهم الاموال وتعطيلهم لاوامره وذلك حين قرر مصادرة بعض كتابه الذين ظن انهم يسلكون هذه الطريقة ومنهم احمد بن اسرائيل (٨٣)، والحسن وسليمان ابني وهب (٨٤) • وكما اقتفى المتوكل سنة أخيه الواثق في الاكثار من مصادرة موظفيه التي بلغت في مجموعها ١٠٠٠٠٠٠٠ دينار (٨٥)، حتى اصبحت المصادرات في ايامه شبه ضريبة مفروضة على الموظفين الكبار وذلك بغية استرداد ما ابتزوه من اموال الدولة أو سدا لنفقاته الضخمة مع قلة موارده وتزايد جسعه ، والامثلة على مصادراته كثيرة (٨٦) • الا ان أعجب ما وقع في هذا الباب مصادراته لطبيبه بختيشوع سنة ٢٤٤هـ / ٨٥٨م الذي كان يتمتع بأحترامه وكثرة ملاطفته نه ، فقد أمر بختم خزائنه وأخذ ما تحويه داره من رياش واثاث فاخرة، حتى بيع ما كان في الدار من حطب وفحم ونبذ على الحسين بن مخلد بستة آلاف دينار (٨٧) •

وان ما ذكره ابو المحاسن عن اهداف الخليفة المعتصم من الزواج

بأبنة خمارويه امير مصر، يعد نوعا فريدا من انواع المصادرة ، لان الخليفة كان يسعى بذلك الى افقار غريمه البعيد عن سيطرته واضعاف نفوذه المالي من خلال جهاز ابنته قطر الندى الذي كان يفوق حد الوصف والتصور^(٨٨) . اذ يقول ابو المحاسن (لما مات ابو الجيش خمارويه بن احمد بن طولون نقاعد عن مبايعة ابي العساكر جيش بن خمارويه من كبار القواد لقلة المال وعجزه من ان ينعم عليهم لان ابا الجيش خمارويه كان انفق في جهاز ابنته قطر الندى لما تزوجها الخليفة المعتضد جميع ما كان في خزانته)^(٨٩) .

وعلى كل حال فقد اصبحت المصادرات صورة تميز علاقة الحكومة برجالاتها البارزين المعزولين عن دست الحكم حيث كان بعض الخلفاء يتركون وزراءهم وعمالهم وكتابهم وولاتهم وحجابهم هملا كالغنم في المراعي يجون ويسلبون حتى اذا ما سمنوا ذبحوهم وبذلك يقول احمد بن الخصيب وزير المنتصر بالله لما خلع عليه للوزارة (مثلي كمثل الناقة التي تزين للنحر)^(٩٠) . وقد بلغت المصادرات ذروتها زمن المقتدر بالله حين تميزت بديوانها العتيد والمختص بادارة الاموال المصادرة والمسمى ب (ديوان المصادرات)^(٩١) . ويعزى ارتفاع نسبة المصادرات هذه الى تدهور أمور البلاد وتدخل الحرم والخدم في تدبير السياسة وتسلب الاثر على السلطة العليا وافقارهم خزينة الدولة التي اصبحت تشكو من عجز دائم بلغ سنة ٣١٩هـ / ٩٣١م (٧٠٠.٠٠٠) دينار^(٩٢) . وربما زاد مجموع ما قبضه الخليفة المقتدر بالله من اموال المصادرة على (٤٠٠.٠٠٠.٠٠٠) دينار^(٩٣) وهي اقل بكثير مما أنفقه على اموره الخاصة والبالغة نيفا وسبعين الف الف دينار عدا ما أنفقه في الامور غير الواجبة او المصالح الثانوية^(٩٤) .

ومن الجدير بالذكر ان الاحقاد والتهم والاختلافات المذهبية كانت تقود الى المصادرة احيانا ، فقد جاءت مصادرة المادرائين نتيجة طبيعية للاحقاد

الدفينة في قلوب آل الفرات ضدهم حتى قال صاحب العيون والحدائق (فلما وافى ابراهيم بن احمد المادرائي بغداد وسار الى دار الوزير لينهأه بالوزارة فرعه ووبخه بما كان منه لان ابراهيم حج في هذه السنة ببغداد ولم يكن ابن الفرات تقلد الوزارة ، فلما وصل الى مكة كانت أخت ابن الفرات مجاورة في مكة نازلة في بعض الدور فقصد ابراهيم بن احمد الدار للنزول بها وحولها تحويلا قبيحا بعد ان رمى بقاشها واسمعها مكروها . وبسطوا المستهم في ابن الفرات ، فلما انقضى الحج سارت الى بغداد فوجدت اخاها قد قعد الوزارة فأخبرته بما نالها من ابراهيم فغلظ ذلك عليه وعلى اقاربه ، وخاطب الخليفة في أمر المادرائيين فبسط يده عليهم) (٩٥) . ويذكر الصابي: ان المقتدر بالله عندما أراد مصادرة علي بن عيسى قال لابي الحسن بن الفرات (وهذا رجل قرمطي ودمه وماله حلالان) (٩٦) . ويقول ابن الاثير عن مصادرة محمود الغزنوي لاعدائه انه (بلغه ان انسانا في نيسابور كثير المال عظيم الغنى فأحضره الى غرفة وقال له : بلغنا أنك قرمطي . فقال: لست بقرمطي ولي مال يؤخذ منه ما يراد وأعفى من هذا الاثم ، فأخذ منه مالا وكتب معه كتابا بصحة اعتباره) (٩٧) . ويذكر الذهبي في ترجمته لمجد الدين بن صاحب هبة الله بن علي (ت ٥٨٣/١١٨٧م) قائلا (ولي استاذ دارية المستضيء ولما ولي الناصر رفع منزلته وبسط يده وكان رافضيا سبابا ، وعمل كل قبيح ، الى ان طلب الى الديوان فقتل واخذت حواصله ، فمن ذلك الف الف دينار) (٩٨) .

والحقيقة ان المصادرات اصبحت منهجا سياسيا عاما للحكومة العباسية التي اعتبرته منفذا للضائقة المالية الملازمة لخزينة الدولة والتي يصورها لنا التنوخي من خلال المحاورة التي دارت بين معز الدولة البويهى ووزيره ابي جعفر الصيمري قائلا (قال معز الدولة ابو الحسين بن بويه لابي جعفر الصيمري وزيره : أريد الساعة خمسمائة الف دينار لمهم لا يجوز

تأخيره ، فقال الصيمري : ايها الامير ، زد ذلك فأني ايضا أريد مثله، فقال له : اذا كنت انت وزيري، فمن أريد هذا الا منك؟ فقال له الصيمري : فاذا لم يكن في الدخل فضل لذلك عن الخراج فمن أين اجيئك به؟^(٩٩) . لذا لم يكن عجبا ان تكون المصادرات في عهده قد سجلت ارقاما عظيمة^(١٠٠) .

لكن ابرز ما طرأ على هذا النظام هو ان قرارات المصادرة التي كانت لا تكتسب صفتها التنفيذية الا بعد تذييلها بتوقيع الخليفة اصبحت في هذا العهد بالذات تشمل الخليفة نفسه عبر خضم من الفوضى العسكرية وسيطرة امير الامراء على الحكم ثم طغيان التسلط البويهى والسلجوقي على وجه الخصوص . ففي سنة ٣٣١هـ / ٩٤٢م (ضيق ناصر الدولة من نفقات الخليفة المتقي وانتزع ضياعه وضياح والدته فجعلها في جملته)^(١٠١) . وفي سنة ٣٣٤هـ / ٩٤٥م خلع الخليفة المستكفي بأسلوب مهين واعتقل في دار معز الدولة البويهى بعد ان اقتيد اليها ماشيا . ونهبت داره حتى لم يبق بها شيء^(١٠٢) . وفي سنة ٣٦٣هـ / ٩٧٣م صودر الخليفة المطيع بالله من قبل عز الدولة البويهى على ٤٠٠ الف درهم باع بها الخليفة المنكوب ثيابه وبعض انقاض داره وذلك بحجة الاستعداد للجهاد ودفع اخطار الروم عن حدود الدولة الاسلامية^(١٠٣) . وكان لهذا الاجراء وقع مؤلم في نفس المطيع بالله الذي اصيب على أثره بالشلل بعد مضي سنة واحدة على مصادرته^(١٠٤) . وفي سنة ٣٨١هـ / ٩٩١م خلع الخليفة الطائع لله وصودر من قبل بهاء الدولة البويهى الذي استجاب لتحريض ابي الحسن الكوكبي المعلم في القبض على الخليفة ، وأطمعه في ماله وذخائره وهون عليه ذلك وجراه^(١٠٥) . وفي سنة ٥٣٠هـ / ١١٣٥م طالب الامير مسعود السلجوقي الخليفة الراشد بدفع مبلغ مقداره ٤٠٠ الف دينار على سبيل المصادرة . فأمتنع الخليفة عن اداء مثل ذلك مما دفع رسول السلطان والمدعو برتقش الزكوي الى الهجوم على دار الخلافة وتفتيشها^(١٠٦) . كما جرد السلطان السلجوقي الخليفة المتقي

من كل ما يملك من الخيول والممتلكات ليكون تحت رحمتهم واسيرا عندهم^(١٠٧) . وأُمد ذلك الى تضمين أطيان سلاحية الخليفة بمائة ألف دينار وأخذت اموالهم^(١٠٨) . لكن الخليفة وقف هذه المرة بحزم تجاه السلطان حينما طلب منه ان يمدّه بمائة ألف دينار وقد رد عليه قائلا (ما رأينا اعجب من أمرك أنت تعلم ان المسترشد سار اليك بأمواله فجري ما جرى ، وعاد اصحابه عراة ، وولي الراشد ففعل ما فعل ثم رحل وأخذ ما بقي من الاموال ولم يبق في الدار سوى الاثاث ، فأخذته جميعه ، وتصرفت في دار الضرب ودار الذهب وأخذت التراكات والجوالي فمن أي وجه نقيم لك هذا المال ؟ وما بقي الا ان نخرج من الدار ونسلمها ، فأني عاهدت الله تعالى ان لا آخذ حبة واحدة ظلما)^(١٠٩) .

ومن الجدير بالذكر ان الخليفة العباسي قد نجح في بعض الاحيان في نضاله ضد المصادرين لامواله بغية حماية ممتلكاته واقرار سلطته الاسمية في الاقل كما حصل للخليفة القائم بأمر الله حين استجابت لندائه الجوامع سنة ٤٤٣هـ / ١٠٥١م بغلق ابوابها ومنع الصلاة فيها يوم الجمعة احتجاجا منه على مصادرة عمال جلال الدولة البويهى لجباية الجوالي التابعة للخليفة . ولم تفتح ابوابها الا بعد عدول الملك عن ذلك^(١١٠) . ويبدو ان المصادرات اصبحت في هذه الفترة بمثابة كر وفر بين الخليفة والسلطين المستحوزين على البلاد ، ولا يفوز من بينهم الا القوي المتحفز والمتنهر للفرص المواتية . فكما صودر المقتفي من قبل نراه يقتسم فرصة بوفاة السلطان مسعود سنة ٥٤٧هـ / ١١٥٢م ، وضعف السلاجقة في العراق ، وتفرق فلتتهم وهروب شحنة بنداد مسعود بن بلال الى تكريت ليقترح الخليفة دار الشحنة المذكور ودور اصحاب السلطان مسعود ويأخذ كل ما فيها ويأمر باراقة الخمور الموجودة في تلك الدور^(١١١) .

ب - مصادرة اغنياء المجتمع غير الحكوميين:

نتيجة لهبوط موارد الخزينة المركزية وخاصة الموارد الخراجية منها بعد اتساع الاقطاع العسكري^(١١٢) للأرض وتركز الثروة في ايدي المقطعين الزراعيين^(١١٢). والتجار الكبار الذين جنوا أرباحا طائلة من التجارة بسبب ازدياد مظاهر الترف الحضاري^(١١٣)، لدرجة ان يحيى بن خالد البرمكي انتقد علي بن عيسى بن ماهان لدى الرشيد عند مصادرته لطرخانات خراسان^(١١٤) وحمل اموالهم اليه قائلا: (ولو قصدت لدرب من دروب الصيارف بالكرخ لوجدت فيه اضعاف هذه)^(١١٥) وبذلك اتجهت انظار الحكام الى مصادرة اولئك الاغنياء الذين كانوا يملكون اموالا تفوق حد التصور، حيث بلغ قيمة مجموع ما صودر من ابن الحصاص^(١١٦) وحده في عهد المقتدر ما يزيد على ١٦ مليون دينار عينا وورقا وآنية وقماشاً وخيلاً وخداماً^(١١٧). وأخذ الخليفة الراضي خط ابي اسحاق القراريطي بخمسمائة الف دينار^(١١٨). وصادر ابن شيرزاد سنة ٣٣٤هـ/٩٤٥م اموال الناس بما فيهم التجار والكتاب لمواجهة الضائقة المالية التي المت باخزينة، وليرضي الجند بزيادة ارزاقهم^(١١٩). وتحت وطأة حاجة معز الدولة الملحة الى المال لبناء قصره سنة ٣٥١هـ/٩٥٩م الذي كلفه (١٣) مليون درهم صادر الدواوين وغيرها والزم الناس ببيع املاكهم ليدخلها في البناء^(١٢٠). وعمل الوزير ابو الفضل الشيرازي على مصادرة الرعية والتجار في وزارته الثانية (٣٦٠-٣٦٣هـ/٩٧٠-٩٧٢م) كي يستعيد بذلك ما خسره من اموال في وزارته الاولى، وليوفر ما يرضي بها الجند والاتباع^(١٢١) في حين صودر ابو الحسن محمد بن عمر بن يحيى بن الحسين العلوي الموصوف بالثراء غير مرة في ايام عضد الدولة وابنه بهاء الدولة الذي صادره على ١٠٩٠٠٠٠ دينار^(١٢٢).

وعلى كل حال فقد كانت السياسة البويهية الضعيفة سبباً في تشجيع

الجند الاتراك والديلم على الاطباب في مصادرة الناس حتى عظم الخطب وزاد الشر كما حصل في مصادرة الاتراك للناس عام ٤١٧هـ/١٠٢٩م^(١٢٣). والديلم عام ٤١٩هـ/١٠٢٨م^(١٢٤). وصادر جلال الدولة الاغنياء من امثال ابي المعمر ابراهيم بن الحسين البسامي^(١٢٥) وأبي الحسن بن ابي القاسم^(١٢٦) تحت ضغط الجند من الاتراك والديلم وبقصد توفير ارزاقهم. واستمرت المصادرات في عهد السلاجقة بنفس المستوى . حيث كان يصادر الناس جملة ، ففي خلافة المقتفي مثلاً (٤٧٩هـ/١٠٨٦م) قدم عليه رجال يشدون من معاملة ابن زريق الناظر بواسط ومصادرته لهم قائلين (نحن من رؤساء نهر الفضل صودرنا وعوقبنا ولنا اربعة اشهر على الباب لم ينجز لنا حال...)^(١٢٧). ويذكر ابن الجوزي عن مصادرة شحنة بغداد للناس سنة ٤٩٧هـ/١١٠٣م قائلاً (وتأذى اناس بالشحنة وكان قد عول على النهب فاجتمع الناس الى الديوان شاكين فقرر مع النقيبين - نقيب باب البصرة ونقيب باب الكرخ - تقسيط الفي دينار ومائتي دينار منها على الكرخ خمسمائة والباقي على سائر المجال فأهلك ذلك الضعفاء ، وقرر على اهل التوتة اربعين ديناراً . فأسقط عنهم النقيب عشرة فلم يقدرُوا على اداء الباقي فقصدوا الاماكن يستجيبون الناس فدخلوا على ابن الشيرازي البيع فتصدق عليهم بدينار وكانوا اهل قرآن وتدين وصلاح)^(١٢٨). وعرفت سياسة محمود بن محمد بن ملكشاه السلجوقي سنة (٥٢١هـ/١١٢٧م) بالضغط الشديد على الناس من اجل استخراج الاموال منهم ومصادرتهم^(١٢٩). كما الح مسعود السلجوقي (٥٣١هـ/١١٤٧م) في مصادرته لاهل الاموال من الناس^(١٣٠). وشرع ملكشاه بن محمود السلجوقي سنة (٥٥٦هـ/١١٥٩م) في الفساد والمصادرة بأهل القرى وخاصة في اصبهان^(١٣١) ، وقد عارض الخلفاء بشدة مصادرتهم لعامة الناس .

ومن المفيد ذكره في هذا المجال ان يد المصادريين قد امتدت الى الموسرات من نساء القصر العباسي اللائي كن يملكن ثروات طائلة تقدر

بالملايين اضافة الى مكنوزاتهن من الذهب والفضة وامتلاكهن الضياع والعقار ، فقد كانت فيسحه ام المعتر مثلا تملك ١٨٠٠٠٠٠ دينار عدا كنوز المؤنؤ والزمررد والياقوت الاحمر^(١٤١) . وكانت غلة ام محمد بن الوائق تقدر بـ (١٠) ملايين دينار في العام^(١٤٢) ، وحوى بيت مال ام المستعين مليون دينار^(١٤٣) وكانت السيدة ام المقتدر تستلم بموجب خريطة الوزير ابي الحسن بن الفرات عشرة الاف دينار في الشهر^(١٤٤) ، حتى عثر بعد وفاتها على اموال مخبأة لها تقدر بستمائة الف دينار مع ضيق الخليفة و فراغ بيت المال^(١٤٥) . لذلك اثار هذه الاموال وغيرها طمع الوزراء والمتسلطين على الحكم من امراء الاتراك وغيرهم بدافع حاجتهم الماسة الى الاموال فصادروهن على ما يملكن حتى ابلغ ما صودرت عليه قيسحه ام المعتر سنة ٢٢٥هـ / ٨٨٦م حوالي ١٣٠٠٠٠٠ دينار عينا بالاضافة الى ما قيمته مليون دينار من الجوهر^(١٤٦) . كما صادر القاهر السيدة شغب ام اخيه المقتدر على مال عظيم^(١٤٧) ، في حين صادر الوزير ابو علي الخاقاني نساء آل الفرات واستخرج منهن اموالا طائلة^(١٤٨) ، على اقبح وجه . كما صودرن على يد ابي العباس الخصيصي سنة ٣١٣هـ^(١٤٩) ٩٢٥م وصادر الوزير نظام الملك كوهر خاتون لما مات اخوها السلطان ألب ارسلان واخذ منها اموالا جليلة على الرغم من تدينها وعقتها^(١٥٠) .

وفي نفس الوقت ساهمت نساء البلاط العباسي في مصادرة بعض الانرياء وخاصة مناوئيهن من رجال الحكومة البارزين ، وربما جمعن لانفسهن عن هذا الطريق اموالا كثيرة ومنهن السيدة شغب التي بلغ نفوذها في عهد ابنها المقتدر انها بمجرد ان تسحب ثقتها بالوزير كان يصبح عرضة للعزل والمصادرة ، كما حصل لابن الفرات في وزارته الاخيرة^(١٥١) . ولا يبي العباس احمد الخصيصي حين عملت على عزله ومصادرة امواله^(١٥٢) . كما صادرت قهرمانتها العزيزة ام موسى حينما ارتابت من تصرفاتها في مصاهرتها لابي العباس محمد بن اسحاق بن المتوكل منافس ابها المقتدر في الخلافة

(فسلمتها الى ثمل القهرمانة ومعها اخوها واختها ، وكانت ثمل مشهورة بالشر وقساوة القلب فبسطت عليهم العذاب واستخرجت منهم الاموال ٠٠٠) (١٤٣) . ونظرا لكثرة الاموال المستخرجة منها والتي اصبحت في قبضة السلطة اقتضى ذلك انشاء ديوان جديد سمي (ديوان المقبوضات عن ام موسى واسبابها) (١٤٤) .

ومن الجدير بالذكر ان المصادر كانت تطارد الاغنياء بعد موتهم ايضا حيث كانت تصادر تركاتهم كما فعل الرشيد لتركة سلم الخاسر البالغة ١٥٠٠٠٠٠ درهم عدا العقار وغيره من الاموال التي قبضها الخليفة ولم يستجب لظلامة مواليه حين ردهم قائلا (هذا خادمي ونديمي والذي خلفه كله من مالي فأنا احق به ، فلم يعطهم الا شيئا يسيرا من قديم أملاكه) (١٤٥) وكما حصل للبرامكة بعد نكبتهم (١٤٦) . وقد استمر هذا النوع من المصادرة تحت اسم ضريبة المواريث (١٤٧) التي كانت تخففي مرة وتظهر احيانا كلما دعت الحاجة الى الاموال فعلى سبيل المثال : أخذ المقتدر ووزيره من تركة صافي الحرمي قائد جيشه سنة ٢٩٨هـ / ٩١٠م ما يزيد على (مائة وعشرين الف دينار وسبعمائة منطقة ذهب وفضة) (١٤٨) . وأخذ المقتدر ايضا من تركة يانس الموقفي الذي كان يملك ضياعا ومستغلات تدر ايرادا سنويا يقدر بثلاثين الف دينار عدا الاموال والامتعة الكثيرة الاخرى . كما أخذ الوزير ابن الفرات وابنه المحسن جزءا آخر من تلك التركة (١٤٩) . واستمرت هذه السياسة في الدولة حيث استولى معز الدولة على تركة رجل اسمه دعليج والبالغة ٣٠٠ الف مثقال من الذهب سنة ٣٥١هـ / ٩٦٢م (١٥٠) كما قبض على اموال وذخائر وزيره المهلبى البالغة خمسة ملايين درهم وذلك بعد وفاته سنة ٣٥٢هـ / ١٩٦٣م (١٥١) . وبنفس الطريقة صودرت اموال الصاحب بن عباد الوزير البويهى القدير (١٥٢) . كما بلغت ضريبة الارث التي اخذها بهاء الدولة البويهى من تركة محمد

بن عمر بن يحيى العلوي المتوفي سنة ٣٩٠هـ / ٩٩٩م خمسين الف دينار حملت الى خزائنه الخاصة واعطى الباقي للورثة^(١٥٣). ومع ان بعض المؤرخين يعتبرون هذا النوع من المصادرة من قيل الضريبة على التركات الا انه قد لا يتفق مع الصورة التي عكسها لنا ابن المعتز في ارجوزته الطويلة عن الآثار السيئة التي كانت تتركها الضريبة الارثية ان صح التعبير ، والتي كانت اقرب ما تكون الى الاسلوب المتبع في استخراج الاموال من المصادرين وقد جاء فيها:

وويل من مات أبوه موسرا
اليس هذا محكما مشهرا
وطال في دار البلاد سجنه
وقيل من يدري بأنه ابنه ؟
فقال جيرانى ومن يعرفنى
فتنفوا سباله حتى فنى
واسرفوا في لكمة ودفعه
وانطلقت أكفهم في صفه
ولم يزل في اضيق الجوس
حتى رمى لهم بالكيس^(١٥٤)

٢ - المصادرات غير المباشرة:

لقد دفعت الظروف المالية الخائقة السلطة العباسية الى اتباع اساليب جديدة قد تقود الى تحقيق الاغراض الواردة في المصادرات المباشرة وتجنبهم مشاكلها وذلك بقبولهم الهدايا والرشاوي من ذوي المصالح او تضمين الاراضي الزراعية ورفع نسبة المكوس الحكومي وتوزيعه^(١٥٥). وكلها تعد من باب المصادرات غير المنظورة . وذلك لعلاقتها الوثيقة بنظام المصادرات من جهة ، ولانها تمنح اصحابها امتيازات تفسح لهم المجال في

ان يستعيدوا اموالهم المقدمة للسلطان بمصادرتهم للرعية واستخراج الاموال منهم بالظلم والعسف من جهة أخرى • وستتطرق بايجاز الى تلك العلاقة التي تؤكد لنا في الوقت ذاته شمولية نظام المصادرات وسعة ابعاده ومدى تغلغله في الظواهر الاقتصادية الاخرى •

أ - الهدايا والرشاوي:

الهدية في العرف الاجتماعي مقبولة اذا لم تكن بقصد • وقد أشار إليها الرسول (ص) بقوله (ان الهدية رزق الله فمن أهدي اليه شيء من غير سؤال ولا اسراف فليقبله) (١٥٦) • وفي نفس الوقت حذر النبي (ص) المسؤولين عن قبولها خاصة عندما يفقد عنصر النزاهة في تقديمها حيث قال (ما بال اقوام استعملتهم على الصدقات فيجيء احدهم فيقول هذا مالكم وهذا أهدي الي ، هلا جلس في حفش أمه فينظر أيهدى اليه ؟) (١٥٧) • وقوله (اياكم والهدية فانها ذريعة الرشوة) (١٥٨) • وهذا ما نحن في سدده حيث كانت الهدية ذريعة للحصول على جملة امتيازات من الخليفة (١٥٨) او الوزير الذي تقدم له الهدية حيث تطلق أيدي دافعي الهدية لمصادرة الناس ، او ضمان سكوت المسؤولين عما يقتربون من مخالفات في الجباية وغيرها • علما بأن معظم الهدايا كانت تقدم من رجال الدولة البارزين واصحاب المصالح المالية ومثال ذلك : ان الرشيد استشار وزيره يحيى بن خالد في تولية علي بن عيسى بن ماهان على خراسان فأشار عليه ان لا يفعل فخالفه الرشيد وولاه اياها • فلما شخص علي اليها ظلم الناس وجمع مالا كثيرا ووجه الى الرشيد هدايا من الخيل والرقيق والثياب والمسك والاموال ثم ير مثلها قط ، فلما وصلت الهدايا الى الرشيد أعجب بها وكان يحيى الى جانبه فكلمه الرشيد قائلا (يا أبا علي ••• هذا الذي أشرت علينا الا يوليه هذا الثغر فقد خالفناك فيه فكان في خلافك البركة !) (١٥٩) • وقد عرف عن سليمان بن وهب وزير المهدي أنه (اذا ولي عاملا أخذ منه مالا

معجلا وأجل عليه مالا الى ان يتسلم عمله^(١٦٠) . وذلك بتحويل من الخليفة الذي اقتنع برأي كاتبه ابي العباس بن ثوابه وطريقته في تحويل المصادرة الى رشوة (اذ قال له: يا أمير المؤمنين الملك يقين والمصادرة شك، أفترى ان ازيل اليقين بالشك؟ قال: لا ، قال له: فقد شهدت للرجل بالملك وصادرته عن شك فيما بينك وبينه، فهل خائفك فنجعل المصادرة صلحا، أم لم يخفك فتكون قد أزلت اليقين بالشك! فقال الخليفة ، هذا حق ، ولكن كيف الوصول الى المال ؟ فقال له: أنت لابد لك من عمال على اعمالك، وكلهم يرتزق ويرتفق^(١٦١) ، فيحوز رزقه فيخلص بنفسه وضيعته ويعود اليك مالك، يا امير المؤمنين، فأمر سليمان بن وهب بأن يفعل ذلك...^(١٦٢) . وقبض المعتمد على وزيره سليمان بن وهب حين كان مع الموفق في واسط وطالبه بالمال قائلا له (قد تقلدت منذ ايام المعتر والى الآن اعمالا متوالية منها الوزارة للمهتدي وأمرة الجبل وغير ذلك وما نكبت ولا صودرت وأريد منك خمسمائة الف دينار)^(١٦٣) . لذا يمكننا القول بأن الهدية او الرشوة جاءت بديلا عن المصادرة او سبيلا اليها . ونال المقتدر كثيرا من الهدايا^(١٦٤) التي بها أبعدت عن البعض شبح المصادرة حيث نجا الحسين بن أحمد المادرائي والي مصر نفسه من المصادرة عندما (اهدى الى الخليفة هدايا جليلة والى السيدة)^(١٦٥) . كما ان ابا القاسم بن بسطام والي مصر لعام ٣٠٧هـ/٩١٩م هو الآخر قد شل محاولة الوزير علي بن عيسى لمصادرته بهدية قدمها للخليفة المقتدر ووالدته حيث يقول عريب (وجه الى الخليفة والى السيدة بهدية فخمة واموال جزيلة فقطعا عنه مطالبة علي بن عيسى^(١٦٦) . وهذا هارون بن غريب يطلب الامان من القاهرة ويذل مصادرة اختيارية مقدارها ٣٠٠ ألف دينار مع تعهده بأن يؤدي من املاكه حقوق المال القديمة^(١٦٧) . علما بأن محمد بن داود الذي اشترك في فتنة ابن المعتر سنة ٢٩٦هـ/٩٠٨م كان قد سبقه في تقديم مصادرة طوعية لانقاذ رقبته من

الذبيح حيث كان يصيح وقد اضطجع على المذبح (يا قوم ذبحا كما تذبح الشاة؟ اين المصادرات اين أنتم عن مالي أفندي بها نفسي على كذا وكذا)^(١٦٨) .

وكان شيوع تعاطي الرشاوي وقبول الهدايا على مختلف المستويات سببا في خلق فوضى سياسية مليئة بالمساومات والمؤامرات دفعت بغير المؤهلين لنبواً ارفع المناصب الحكومية ، محفزة اياهم على اتباع شتى السبل في استرداد الاموال التي قدموها على شكل هدايا ورشاوي ، وذلك بمصادرتهم الناس وابتزاز اموالهم من خلال الاجواء التي توفرها لهم وظائفهم الجديدة التي نالوها بالهدية و الرشوة . بدليل ان المقتدر عندما عاتب ابن الحواري على مشورته غير الموقفة بتعيين حامد بن العباس في الوزارة برر له ذلك بأن حامدا ممن يوصف (باليسار العظيم . وباستخراج الاموال . . . وكثرة الغلمان)^(١٦٩) وعلى هذا الخط كتب بن فرجويه الى المقتدر رقعة يقول فيها: متى صرف علي بن عيسى ورد ابن الفرات اطلق للولد والحرم والخدم ومن بالحضره من الفرسان برسم التفاريق مثل ما كان يطلق في وزارته الاولى تماما واداروا . وحمل الى المقتدر في كل يوم الف دينار والى السيدة والامراء خمسمائة دينار^(١٧٠) . وبنفس المنطق ساوم المحسن بن الفرات الخليفة بوساطة مفلح الخادم على (أنه يصحح للمقتدر بالله ثلاثة آلاف الف دينار والفا وخمسمائة دينار في كل يوم اذا اطلق أباه واستوزره وسلم اليه حامد بن العباس وعلي بن عيسى ومكة منهما ومن مناظرة المادرائين واستيفاء ما عليهم)^(١٧١) . ونال الحسين بن القاسم بن عبيد الوزارة سنة ٣١٩هـ / ٩٣١م عندما تعهد للخليفة المقتدر بدفع كافة النفقات مع زيادة تقدر بمليون دينار^(١٧٢) . وخير وصف لاثر الرشاوي في ارباك الجهاز الاداري وتصادد نسبة المصادرات ما جاء بتهديد ابي عبدالله الجصاص للوزير ابي الحسن بن الفرات قائلا (فان نزلت تحت حكمي في الصلح او لا قصدن الخليفة الساعة ولا حولن اليه من خزائني الفقي الف دينار عينا وورقا ،

ولا أصبح الا وهي عنده وانت تعلم قدرتي عليها وأقول له خذ هذا المال وسلم ابن الفرات الى فلان واستوزره واذكر له أقرب من يقع في نفسي انه يجيب الى تقليده ممن له وجه مقبول ، ولسان عذب وخط حسن ومخرقة حادة ، ولا أعتمد الا بعض كتابك فانه لا يفرق بينك وبينهم اذا رأى المال حاضرا فيسلمك في الحال لهم، ويراني المتقلد بعين من أخذه وهو صغير فجعله وزيرا وغرم عنه هذا المال الكثير، ويعتقد اني ربه، وولي نعمته، فيخدمني ، ويتدبر بتدبري في جميع امره ، فأسلمك اليه ، فيفرغ عليك العذاب، حتى يأخذ منك الالف الف دينار بأسرها، وانت تعلم ان حالك تفي بها ، ولكنك تفتقر بعدها ، ويرجع الي مالي ، ولا يذهب علي منه دائق ، واكون قد اهلكك عدوي، وشفيت غيظي، واسترجعت مالي وصنت نعمتي وازداد محلي عظما بصرف وزير وتقليد وزير^(١٧٣) . كما استطاع ابو علي بن مقله ان يتولى الوزارة بمغرياته الجليلة التي تعهد بها لسيما المناخلي والبالغة خمسمائة الف دينار لنفسه وخمسمائة أخرى تصرف للرجال في البيعة^(١٧٤)، الا انه على ما يبدو قد حث بالتزاماته تلك وفي قول الخليفة الراضي ما يؤكد ذلك، اذ قال (لم يتحصل لنا من الخمسمائة الف دينار ، وأخذ من اموالنا واموال الناس مثلها)^(١٧٥) . واستمرت هذه الطريقة المشينة فيما بعد حتى ان ابا علي الحسين بن محمد الطبري كان قد بذل لمعز الدولة البويهى اموالا جليلة لتوليته الوزارة على الرغم من عدم كفاءته^(١٧٦) . وان الاخير قد أخذ منه الدفعة الاولى من الرشوة ومقدارها ٣٠٠ الف دينار الا انه لم يقلدها اياه بل استوزر ابا محمد المهلبى بدلا عنه^(١٧٧) . وارثنى شيرزاد بن سرخاب (كاتب الفارسية) مالا من ابي الفضل بن العباس الشيرازي مقابل ان يسعى له بتولي الوزارة لدى بختيار بن معز الدولة قريبه والتمكن منه^(١٧٨) . وغدت الرشوة ظاهرة التعامل الحكومي لهذا العصر حتى في ايام عضد الدولة رغم حزمه . وبذلك قال

لكتابه ابي القاسم عبدالعزيز بن يوسف حين توسط لديه في قضاء حاجة (انا لا اقصي حاجة لك ، لانك لا تقصد بها وجه الله ، ولا تبغي بهامكرمة ، ولا تحفظ بها مروءة ، وانما ترتشي عليها ، وتصانع بها ، وتجعلني بابا من ابواب تجارتك وارباحك)^(١٧٩) . وفي سنة ٣٨٦هـ / ٩٩٦م اشترى ابو العباس بن سرجس الوزارة من بهاء الدولة البويهى بعشرة آلاف دينار^(١٨٠) ، لكنه سرعان ما خسرها بعد ان باعها بهاء الدولة على فخر الملك (ابو غالب محمد بن علي بن خلف بأموال سخية ودنانير مطيعة تحت تأثير الضائقة المالية)^(١٨١) . ولم تبتز ظاهرة الرشوة في الجهاز الحكومي على مر العصور العباسية رغم مردودها السلبي على المجتمع بل تعمقت مع ازدياد الفوضى والاضطراب حتى ان زنكي ابن آق سقر ضمن سنة ٥٢٣هـ / ١١٢٨م للسلطان السلجوقي مائة الف دينار على الا يعزله عن الموصل^(١٨٢) . وضمن الخليفة للسلطان ايضا مثل ذلك على الا يولي ديسا ولايته - كان الخليفة يكره ديسا - فقبل السلطان ذلك^(١٨٣) . وهذا يؤكد لنا ايضا ضعف الخليفة وعدم قدرته على تنفيذ أوامره الا بموافقة السلطان السلجوقي .

ب - التضمينات :

مما لا شك فيه ان المصادرات المباشرة في مهدها قد لا تعدو ان تكون نوعا من الاجراءات الانتقامية التي اتخذها الخليفة ضد بعض الشخصيات في موقف معين دون الرغبة في تحقيق أي هدف آخر وراء هذا الهدف الانتقامي ، ثم تطورت حتى اصبحت وسيلة مألوفة لدى العباسيين وسياسة نابتة للدولة يقصد منها جمع الاموال للخزينة الخاوية . وهي بذلك قد تلتقي مع التضمينات في الغرض النهائي ، لاتا في التضمينات قد لا نجد مبررا لنشئها سوى كونها وسيلة يواجه بها افلاس الخزينة المركزية وخزينة البلاط خلال الازمات المالية المصنية التي طالما المت بالبلاد العباسية والنتيجة

عن ضعف الخلافة وعجز المسيطرين على الامور في مطالبة ولاية الاقاليم ورؤساء الدويلات بالانتظام في دفع الاموال المقررة على ولاياتهم ودويلاتهم للحكومة المركزية ، بل عجزهم كذلك عن الحصول على هذه الاموال من الممتلكات الخاضعة للحكومة المركزية خضوعا مباشرا في العراق نفسه (١٨٤) .

والتضمينات في جوهرها تعني ان يعين شخص ما في ولاية ما او لمنصب ما بشرط ان يضمن للخلافة مبلغا محددا من المال يقدمه بالطريقة التي تعين له او يتفق عليها معه . وعلى الاغلب كانت تسدد بعوض مضمون متأات من ايرادات الارض الخراجية . لذلك اصبحت الجباية تحت رحمة الضمان انقرضين خزينة الدولة .

اما فكرة الضمان هذه فقد جاءت اصلا من نصيحة قدمها ابناء الفرات - أبو العباس وابو الحسن - الى ابي القاسم عبيد الله بن سليمان بن وهب (١٨٥) وزير المعتضد الذي تولى الخلافة (٢٧٩ هـ - ٢٨٩ هـ / ٨٩٢ - ٩٠١ م) والدولة مفلسة لحد الصفر حتى قال الوزير (قد وردنا على دنيا خراب مستغلقة وبيوت مال فارغة وابتداء عقد لخليفة جديد ، ولا بد لي في كل يوم من سبعة آلاف دينار لنفقات الحضرة على غاية الاختصار والتجزئة) (١٨٦) . يؤيده ابن ظافر الازدي بقوله (استولى المعتضد على الخلافة وليس في بيت المال سوى قرايط لا تبلغ الدينار والحضرة مطلوبة والاموال منهوبة) (١٨٧) لاسيما وان تلك النصيحة تضمنت السماح للاخوين اللذين اطلقا على انور من حبسهما بمخاطبة احد الاغنياء المرشح لهذا الموضوع وهو (احمد بن محمد الطائي وضمناه بعض اراضي الفرات ودجله واقليم واسط وغيرها على ن يحمل من ماله في كل يوم سبعة الاف دينار وفي كل شهر ستة الاف دينار واخذ ترفيعه بالتزام الضمان وتقديم المال في اوقاته ، وبدأ التنفيذ في نفس اليوم بالنسبة للاقساط اليومية وفي اليوم التالي بالنسبة للاقساط الشهرية) (١٨٨) .

وقد حقق الضمان لاصحابه كسبا غنيا نتيجة للفرق الكبير بين ما كان يدفع لخزينة الدولة من قبل الضامن وما كان يجبي فعلا من الخراج بموجب امتياز الضمان ، فقد ضمن ابو عبدالله البريدي الاحواز في خلافة الرازي كل سنة بـ (٣٦٠٠٠٠) دينار على ان يدفعها اقساطا علما بأن خراجها الحقيقي كان حوالي ١٥ مليون دينار^(١٨٩) . ومما يؤكد لنا عظم المنافع التي يجنيها صاحب الضمان هو ان حامد بن العباس أتحف المقتدر سنة ٣١٠هـ/٩٢٢م بهدايا ثمينة لاطلاق يده واعادة الضمان اليه بعد الغائه سنة ٣٠٩هـ/٩٢١م فيذكر ابن الجوزي (ان حامد اهدى المقتدر البستان المعروف بالناعور بناء له وانفق على بنائه مائة الف دينار وعلق على المجالس التي فيها الستائر وفرشه باللبود الخراسانية)^(١٩٠) . ثم لم يلبث الضمان ان اصبحت موضوع تنافس بين العمال المقربين من الوزراء المتنافسين ايضا ، فكانت تتغير كل مجموعة بتغير الوزير او عزله كما حصل لحامد بن العباس الذي ضمن واسط في وزارة علي بن عيسى حيث حاول خلفه الوزير ابن الفرات ان يعزل عمال الوزير المنحى وفيهم حامد بن العباس وقرر عدم تجديد ضمانه لكن حامدا لصلته الوثيقة ببعض خواص أم الخليفة استطاع ان يمدد ضمانه على واسط والعمل على نيل منصب الوزارة^(١٩١) . التي غدت أشبه شيء بولايات العثمانيين على العراق حين كانت الولاية تباع لمن يزيد في الضمان! ومما يؤكد ادعاءنا بأن الضمان في حقيقته مصادرة غير مباشرة تصيب آثارها الزراع قبل غيرهم ، هو ان الضمان كانوا يعينون وكلاء يشرفون على جباية خراج المناطق التي يضمنونها^(١٩٢) . ويقوم الوكلاء بدافع من مصالحهم الشخصية المكرسة لاستعادة جميع الاموال التي دفعت للدولة من قبل الضامن . والسعي الحثيث للانتفاع المادي بما يحقق لهم اكبر قدر ممكن من الكسب المتأتي عن عقد الضمان ، والمانح

لهم امتياز استخراج الاموال من الناس • كما انهم ادركوا ان ذلك قد لا يحقق الا بتعيين جباة قساة ذوي قدرة على التفتن في ابتداع الوسائل البشعة في التعذيب والترهيب^(١٩٣) . فهم كما وصفهم آدم متز (قوم من العراق والبصرة والعاقولاء وهم عتاة ليس في قلوبهم رحمة ... يضربون الناس ويحبسونهم...)^(١٩٤) ويذكر التوخي ان (عاملا للمكتفي طالب بعض اهل الخراج بخراجه فتغيب عنه فأمر باحراق بابه)^(١٩٥) . لكن شيئا من التغير المنقرن بالضعف السياسي قد طرأ على الضمان الزراعي في العهد البويهي حيث انكسرت حدته بانتعاش الاقطاع العسكري^(١٩٦) ، الذي جاء نتيجة لاهتمام الحكام الجدد بالحصول على اكبر ما يمكن الحصول عليه من واردات الدولة وذلك عن طريق الضرائب وغيرها • وهدهم هذا التفكير ايضا الى اقدامهم على استبدال عملية دفع رواتب الجند باقطاعهم الاراضي والقرى كي يأخذوا من وارد ضرائبها بدل رواتبهم^(١٩٧) .

وهكذا تحولت معظم الاراضي والقرى الى اقطاعات جند على حساب الملكيات الصغيرة^(١٩٨) ، وعقود الضمان التي كانت تعقد على المدنيين من قبل الحكومة ، مما أدى الى قلة موارد الخزينة • لاسيما وان المقطعين الجنود كثيرا ما كانوا يتمتعون عن دفع حصة الخزينة من محاصيلهم الزراعية او الانفاق على منشآت الري التي دب فيها الخراب والدمار حتى (صار الرسم جاريا ان يخرب الجند اقطاعاتهم ثم يردوها ويعتاضوا عنها من حيث يختارون)^(١٩٩) ومما زاد في الامر سوء اعتماد المقطعين العسكريين على وكلائهم وغلمانهم لادارة اقطاعاتهم التي تعرض فيها الفلاحون الى الحيف في معاملاتهم ومصادرة اموالهم ، حتى اضطرهم ذلك في بعض الاحيان الى الهروب عن اراضيهم والتخلي عنها او الجائها^(٢٠٠) . واعطيت الاراضي القليلة التي لم يشملها الاقطاع بالضمان^(٢٠١) . لكن الضامن في

هذا العهد سار على سياسته القديمة ايضا في مصادرة الزراع ظلما واهمال الري ومتطلبات الارض الزراعية • وبذلك يقول مسكويه (واقتصر في محاسبة الضمنا على ذكر اصول العقد وما صح منه وما بقي من غير تفتيش عما عوملت به الرعية وأجريت عليه احوالها من جور او نصفه ومن غير اشراف على احتراس من الخراب ، او خراب يعاد الى العمارة وجبايات تحدث على غير رسم ومصادرات ترفع على محض الظلم ، واضافات الى الارتفاع بغير عبرة وحسابات في النفقات لا حقيقة بشأنها) (٢٠٢).

واستمرت الحالة الزراعية هذه في العصر السلجوقي ايضا على الرغم من محاولة نظام الملك حصر حقوق المقطاع على الناس بالامور المالية فقط • وذلك لان المقطاعين سيطروا على حرية الزراع والفلاحين في الحركة ، وكانوا يفرضون عليهم رسوما اضافية • وقد يجبرونهم على السخرة التي تعتبر بلاشك نوعا من المصادرة لطاقتهم الانتاجية ، وقد بلغ التجاوز عليهم درجة اضطر الكثير ممن كان يملك ارضا الى التخلي عنها والجبائها للعسكريين طلبا للحماية • مما وسع ملكية المقطاعين وقلص الملكيات الصغيرة (٢٠٣)، حتى بلغت اشدها في عهد الناصر لدين الله (٥٧٥-٦٢٥هـ/ ١١٧٩-١٢٢٧م) حيث وسع الاقطاعات ومعظمها من الاراضي الخراجية، وتشدد في فرض الضرائب بدافع الحاجة (٢٠٤).

واذا كان الضمان للارض الزراعية في القرن الثالث الهجري قد حقق للخزينة الخاوية موردا ماليا تواجه به متطلبات الانفاق الكبير للدولة • فان الضمان قد اتسع مفهومه بعد ذلك بقرن من الزمن حتى تعدى العلاقات الزراعية الى امور اخرى تتعلق بالتنظيمات الادارية والقضائية وذلك حين اقدمت السلطة الضعيفة على اسناد حماية بعض المدن وطرقها الرئيسية الى امراء القبائل على سبيل الضمان لقاء مبالغ من المال تدفع سنويا للخزينة

المركزية • كما حصل لبني عقيل في حمايتهم لسقي الفرات منذ القرن الرابع الهجري^(٢٠٥) • حتى اتسعت فشملت مناطق اخرى كقصر ابن هيرة والجامعين والكوفة^(٢٠٦) • وكانت لبني مزيد حماية مدينة سورا وسواها مقابل مبلغ من المال يدفع سنويا لحكومة بغداد^(٢٠٧) •

وربما امتد الضمان الى القضاء والشرطة والحسبه وذلك حينما اقدم معز الدولة على تضمين القضاء سنة ٣٥٠هـ / ٩٦٠م بتقليده ابا العباس عبدالله بن ابي الشوارب قضاء القضاة في بغداد وخلع عليه من دار المملكة لقاء تعهده خطيا بأن يحمل في كل سنة الى خزانة معز الدولة البويهى مائتي الف دينار^(٢٠٨) • مما اغضب الخليفة وامتنع عن تقليده ومنع من دخوله عليه في جميع المناسبات^(٢٠٩) • ثم صار ذلك أمرا مألوفا حتى شملت الحسبه والشرطة ببغداد وضممتا بعشرين الف درهم يدفع في بداية كل شهر من شهور الاهله^(٢١٠) •

اساليب المصادرة وآثارها:

تركت المصادرات في الفترة العباسية المتأخرة آثارا سيئة جدا انعكست على ادارة الجهاز الحكومي والمالي للدولة • فقد ساهمت الى حد كبير في خلق فوضى ادارية في البلاد تميزت بكثرة العزل والتعيين في اوساط الوزراء والعمال والكتاب ومن تعلق بهم من الموظفين المسؤولين عن الامور المالية خاصة • وربما كان ذلك نتيجة طبيعية لنظام المصادرات • لان الوزراء والكتاب الذين كانت تطلق ايديهم في سلب الناس وابتزاز الاموال كان لابد من ان يجرّدوا بين حين وآخر عما كانوا يجمعونه من اموال وذلك عن طريق المصادرة التي كانت تنفذ عادة بسياط الوزراء الجدد لاسيما وان هؤلاء ايضا كانوا ينتظرون دورهم على ايدي من يعقبهم في اشغال المنصب ذاته حيث كانوا يصادرون بنفس الاساليب القاسية وذلك بعد ان تملأ

جيوبهم بالمبالغ الضخمة اثناء عملهم وهكذا دواليك ، حتى ان الواحد منهم كان قد تولى الوزارة غير مرة فأصبحت وكأنها شبه احتكار لاشخاص معينين يتولونها مرات مثل ابي الحسن بن الفرات^(٢١١) . وابي الحسن علي ابن عيسى^(٢١٢) ، وأبي علي بن مقله^(٢١٣) . الذي قال فيه نبطويه عندما عين لهذا المنصب :

إذا أبصرت في خلع وزير
فقل أبشر بقاصمة الظهور
بأيام طوال في بلاء
وايام قصار في سرور

وبالفعل فقد حصل لابي علي بن مقله - الوزير الكبير - الكثير من الضرب المبرح والعزل والمصادرة بمليون دينار لمجرد عجزه عن ارضاء الامراء^(٢١٤) .

لذا كان السعيد من الوزراء من كان يعزل او يضادر دون أن يذوق التعذيب الميت ، فالمعتاد ان المصادر بن كانت تنزع عنهم اموالهم بأعتى الصور واشد انواع التعذيب قسوة ووحشية على يد رجال نزعوا الرحمة من قلوبهم ، ووصفوا بالشر والقسوة ، أمثال ابن ثوابه^(٢١٥) ، وأبي الحسن بن بعدشر^(٢١٦) ، وثمل القهرمانه^(٢١٧) ، والمحسن بن علي بن محمد بن الفرات^(٢١٨) صاحب ديوان المصادر في عهد المقتدر والمكثي بالخيث بن الطيب لدى الناس لأن أباه علي بن الفرات كان يتظاهر بعدم الرضى عن سلوك ابنه^(٢١٩) . مع انه كان في حقيقته يبحث عن مثل لابنه في القسوة والبطش ، وقد افصح عن ذلك عند مصادرته لمحمد بن جعفر بن الحجاج بقوله: « أريد رجلا لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر يطيعني حق الطاعة ،

فأنفذه في مهم لي...» (٢٢٠) وكتب التاريخ زاخرة بأنواع التعذيب الذي تعرض له المصادرون نتيجة لممانعتهم عن الدفع (٢٢١)، فيذكر المسعودي أن عمر بن مصرح الراجحي المتوفي سنة ٢٣٣هـ / ٨٣٧م صودر لثلاث «وأمر أن يصفع في كل يوم» (٢٢١). وقيل أن بجكم التركي كان يطبق أساليب مخدومه مرداويج بن زيار الديلمي في التعذيب بتقييد الرجال ووضع طسات الجمر على بطونهم لاستحصال الاموال منهم (٢٢٣). وعرف عن عبدالله البريدي الضامن لولاية الاحواز انه كان يربط الممتنعين عن الدفع برباط الدواب (٢٢٤). وكان ينال صاحب السلطان محمد بن ملكشاه السلجوقي يحرق الناس للمصادرة (٢٢٥). وكلها أساليب بعيدة عن الرحمة، لم تكن الدولة الاسلامية تألفها على هذه الصورة قبل استحواذ الاعاجم على مؤسساتها وتدير امورها. حتى مات البعض فزعا قبل ان يقدموا للتعذيب. فقد مات محمد بن نصر وكيل ابي الحسن علي بن عيسى فزعا عندما استدعاه المحسن بن علي بن الفرات الى ديوان المصادرات ورأى ما يعامل به الناس من مكاره من غير ان يكلمه المحسن او يوقع به مكروها (٢٢٦) كما ذاق المحسن أيضا المصير الاسود عند عزله (وحبسه في كيف وهو متدلي الرأس في بئر، وكان الوزير حامد بن العباس يستحث ويستزيد الموكل بصفعه وهو مقيد بقيد ثقيل وعليه جبة صوف قد غمست في النفط مزرورة في عنقه) (٢٢٧). وكان ذلك رد فعل لما ناله حامد بن العباس على يد المحسن عند عزله من الوزارة سنة ٣١١هـ / ٩٢٣م (٢٢٨). وهذا ابو الحسن بن الفرات يدين نفسه عندما قبض عليه وعذب بما عذب به الناس قائلا : «... عدت على نفسي ما عاملت الناس به، فوجدت اني قد عملت كل شيء منه، من مصادرة ونهب وقبض ضياع وحبس وتقييد وتضييق والبأس جباب الصوف، وتسليم قوم الى اعدائهم وتمكينهم من مكروهم، وأمرت بغل بعض الاشخاص لاستخراج المال منهم» (٢٢٩).

ولم تكن النساء احسن حفظا من الرجال في هذا المجال ، فقد قُسا
 القاهر مع زوجة ابيه وام اخيه المقتدر حينما صادرها وأمتعت عن الاقرار
 فضربها^(٢٣٠)، على الرغم من مرضها بالاستسقاء^(٢٣١) . وأخذ الوزير
 ابو علي الخاقاني النساء بالعسف الشديد وضربهن بالمقارع وسلمهن الى
 الرجال^(٢٣٢) . كما عرف الوزير ابو العباس احمد بن عبدالله الخصيصي
 بمصادرته لـنساء آل الفرات سنة ٣١٣هـ/٢٢٥م وجسهن بقصد الاقرار،
 حيث سلم بنت جعفر بن الفرات الى أفلح^(٢٣٣) . وضرب كلا من زوجة
 المحسن بن علي بن الفرات وجدته دولت وابنها بحضرته ، واعتقلهم في
 يد غلمانة وحجابه شهورا^(٢٣٤)، وذلك بالاضافة الى ابنة موسى بن خلف
 وامرأة احمد بن الحجاج بن مخلد^(٢٣٥)، وقد أثارت اجراءاته تلك غضب
 الخليفة فعزله وقبض عليه^(٢٣٦) .

ومن جهة أخرى فقد لعبت النساء دورا واضحا في عمليات التعذيب التي
 جاءت على البعض بقصد المصادرة ، حيث كانت دار القهرمانه زيدان حسبا
 مشهورا لمعظم الوزراء والعمال والولاة المعزولين والمصادرين والمعتقلين، فقد
 حبس عندها الحسين بن حمدان^(٢٣٧)، وعلي بن محمد بن الحواري -
 بعد اخراج ابن الفرات من حبسها لتقليده الوزارة^(٢٣٨) - وابو العباس
 الخصيصي وابنه وكتابه^(٢٣٩) . كما جعل علي بن عيسى في يد زيدان عند
 عزله عن وزارته ومصادرته^(٢٤٠) . وخير ما يصور لنا تلك المآسي وامثالها
 عبدالله بن المعتز (ت ٢٩٦هـ/٩٠٨م) في ارجوزته التي وصف بها كيفية
 استخراج الاموال من المصادرين في وزارة ابن بلبل جاء فيها:

فكم وكم من رجل نيل
 ذي هبة ومركب جليل

رأيتهم يمثل بالاعوان
الى الجبوس والى الديوان
حتى أقيم في جحيم الهاجرة
ورأسه كمثل قدر فائره
وجعلوا في يده جبالا
من قنب يقطع الاوصالا
وعلقوه في عرى الجدار
كأنه برادة في الدار
وصفقوا قفاه صفق الطبل
نصبا بعين شامت وغل
إذا استغاث من سكير الشمس
اجابه مستخرج برفس (٢٤١)

وقد أدت كثرة المصادرات الى اضطراب بعض الاغنياء الى اخفاء اموالهم في دورهم او ادى اصدقائهم والتظاهر بالفقر والمسكنه والتشكي من العوز كي يبعدوا عنهم انظار الطامعين في اموالهم وممتلكاتهم من الوزراء والامراء وتجنبيا لها من خطر المصادرة ، وهذه الظاهرة السلبية في المجتمع أدت بالطبع الى تجميد الاموال المتداولة بالاكنتاز وشل حركتها في مجال الاستثمار او في تنشيط السوق المنتج، حتى ان قبيحه ام المعتر تظاهرت بعدم قدرتها المالية على مد يد العون لابنها الذي ذهب ضحية لخمسين الف دينار طالبه بها الجند ثمنا لارزاقهم (٢٤٢)، مع انها صودرت بعد مدة وجيزة على مليون وثلاثمائة دينار عدا الجواهر ، مما حدا بوصيف بن صالح الى القول (قاتل الله قبيحه عرضت ابنها للقتل وعندها هذه الاموال العظيمة) (٢٤٣). ويذكر

النصابي ان علي بن عيسى مع تقواه هذه وتدقيقه في الامور الصغيرة لم يصدق الخليفة حينما راسله ليقر له بما عنده من اموال فكتب له يذكر أنه لا يقدر على اكثر من ثلاثة الاف دينار ، هذا وقد وجد له بعد ذلك عند رجل سبعة عشر الف دينار ، ولما ضيقوا عليه استجاب اخيرا الى دفع ثلاثمائة الف دينار يعجل منها الثلث في ثلاثين يوما ويؤدي الباقي على رسم المصادرات^(٢٤٤) . في حين كان علي بن عيسى يوبخ ابا عبدالله البريدي لانه حلف للسلطان ان استغلال ضيعته عشرة الاف دينار وهو في الحقيقة ثلاثين الف^(٢٤٥) . وحفرت دار ابي عبدالله الجصاص عند مصادرته سنة ٣٠٢هـ / ٩١٤م (فوجدت له في بستانه اموال جليلة مدفونة في جرار خضراء وقماقم مرصصة الرؤوس فحملت كهبتها الى دار المقتدر)^(٢٤٦) . وعندما صودر حامد بن العباس عثر على ٤٠٠ الف دينار له مخبئة في بشر المستراح في داره^(٢٤٧) . واستخرج الخليفة المتقي شيئا كثيرا من اموال بجكم بعدمقتله ، وكانت محفوظة في قدور كبار ومدفونة في داره . علما بأن بجكم كانت له دفائن سرية في الصحراء قد ضاعت بموته^(٢٤٨) . كما ان الاموال التي صودرت عليها السيدة ام المقتدر قد أخرجت من تربتها بالرصافة حيث كانت مخبأة هناك^(٢٤٩) . اما يانس الموفقي فقد خلف ثروة عظيمة لا تقدر بثمان حتى ان ابا عبدالله الجصاص ثري عصره قال عندما عرضت عليه بعض كنوزه ايقدرها (ما اعرف لها قيمة ولا رأيت مثلها قط ، ولولا أنني شاهدها لكذبت بوجود مثلها)^(٢٥٠) وربما اصبحت هذه الظاهرة اكثر وضوحا ايام التسلط الاجنبي على العراق حيث قال بعض من حضر مجلس ابي الحسن الكرخي (٢٦٠-٣٤٠هـ / ٨٣٧-٩٥١م) : (ولقد كان في الدرب الذي أنزله ، وهو درب مهرويه ، خلق من أمراء ، وكتاب ، وتناء ، وتجار ، حسب ما كانوا يملكون ، فكان أربعة آلاف الف دينار ، وما في هذا الدرب اليوم من يحتوي ملكه على

أربعة آلاف درهم ، غير أبي العريان أخي عمران بن شاهين^(٢٥١) . حتى
ان ابا علي الخازن الذي كان قد دفن امواله في إحدى غرف داره واخفى
البافي لدى قوم اشار اليهم بأسمائهم المفردة دون ان يقرن بها شيئاً عدا رموز
أدرجها ازاءهم . فاستطاع الوزير المهلبى بحلها بعد وفاته ان يستخرج
نحو مائتي الف دينار من هذه الوجوه سوى دفائنه^(٢٥٢) ، مع ان ابا علي
الخازن كان في حياته يشكو دهره حتى اقتنع معز الدولة البويهى بفقر حاله
حين قال للوزير الذي قبض عليه وصادره (الم اقل لك انه لا يملك
شيئاً) وذلك لان الخازن كان قد راسل أخت معز الدولة يستقرض منها
ما يشتري به نفسه من مكروه الوزير وظن ان ذلك يبلغ الامير فيكون
سبب طلاقه . كما راسل كل من عرفه فاستقرض منه حتى شاع خبره في
الدولة بالفقر^(٢٥٣) . وترك عبدالرزاق الصوفي الغزنوي (ت ٤٩٣هـ / ١٠٩٩م)
مالاً مدفوناً يزيد على أربعة الاف دينار مع انه كان يتظاهر بالفقر^(٢٥٤)
وابو طاهر يوسف بن احمد الخزري صاحب المخزن للمستظهر العباسي
فقد أخذ من داره بعد القبض عليه ما يزيد على مائة ألف دينار من المال
والاواني والذهب والفضة ، ثم اخذ مملوك له كان يعرف اسراره فضرب
حتى أوماً الى بيت في داره فاستخرج منه دفاًئن اربعمائة الف دينار^(٢٥٥) .

ومن الجدير بالذكر ان معظم المظالم التي ولدتها المصادرات قد قوبلت
برد فعل شعبي أخذ في بعض الاحيان شكل التبرم الاجتماعي والدعوة
الصريحة لمعارضة تلك السياسة الغاشمة خاصة بالنسبة للمصادرات الجماعية
المتأتية في الاغلب عن تصرفات الضمان وجباة الضرائب الحكومية التي بلغت
ذروتها في عصر المقتدر^(٢٥٦) والعصور المتعاقبة من بعده ، والتي وصفت
بكونها مجردة عن الرحمة وبذلك قال الصابي (كان الحياة يأتون اليبدر
فيقسمونه كما يشاؤون واذا تدمر الفلاح شتموه وحلقوا لحيته وضربوه

وَقَدْ لَا يَرْضِيهِمْ ذَلِكَ فَيُغْتَصَبُونَ الضِّيَاعَ بِرِمَتِهَا^(٢٥٧) . كما فعل أَبُو عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنُ سَعِيدٍ^(٢٥٨) الْكُوفِيُّ بِأَهْلِ وَاسْطٍ حَيْثُ اطْبَحَ فِي ظَلَمِهِمْ حَتَّى قَالَ ابْنُ مَرْوَانَ الْجَامِدِيُّ (أَخَذَ مِنْ ضِيعَتِي بِالْجَامِدَةِ نِيفًا وَارْبَعِينَ كِرًا ارْزَا بِالنِّصْفِ مِنْ حَقِّ رَقَبَتِي^(٢٥٩) ، سَوَى مَا أَخَذَهُ مِنْ حَقِّ بَيْتِ الْمَالِ بَغِيرَ نَأْوِيلٍ وَلَا شَبْهَةٍ فَتَظَلَّمْتُ إِلَيْهِ وَكَلِمَتُهُ فَلَمْ يَنْصِفْنِي وَكَانَ الْكِرَ الْارْزَ بِالنِّصْفِ إِذْ ذَاكَ يَسَاوِي ثَلَاثِينَ دِينَارًا فَقُلْتُ لَهُ: قَدْ أَخَذْنَا سَيِّدَنَا أَيْدَهُ اللَّهُ مِنِّي مَأْخُذَةً وَوَاللَّهِ مَا اهْتَدَيْتُ أَنَا وَعِيَالِي إِلَى شَيْءٍ سِوَاهُ . وَمَالِي مَا أَقْوَتَهُمْ بِهِ بَاقِي سَنَتِي وَلَا مَا أَعْمَرَ بِهِ ضِيعَتِي وَقَدْ طَابَتْ نَفْسِي أَنْ تَطْلُقَ لِي مِنْ جَمَلَتِهِ عَشْرَةُ أَكْرَارٍ وَاجْعَلِ الْبَاقِي لَهُ حَلَالًا . فَقَالَ: هَذَا مَا لَا سَبِيلَ إِلَيْهِ ، فَقُلْتُ: فَخَمْسَةُ أَكْرَارٍ فَقَالَ: لَا أَفْعَلُ ، قَالَ: فَبَكَيْتُ ، وَقَبِلْتُ يَدَهُ وَرَقَقْتُهُ وَقُلْتُ لَهُ: فَهَبْ لِي ثَلَاثَةَ أَكْرَارٍ وَتَصَدَّقْ بِهَا عَلَيَّ وَأَنْتَ مِنْ جَمِيعِهِ فِي حُلٍّ ، فَقَالَ : وَاللَّهِ وَلَا أَرْزُهُ وَاحِدَةً . قَالَ : فَتَحِيرْتُ وَقُلْتُ لَهُ: فَأَنِّي أَنْظِلُّكَ إِلَى اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ مِنْكَ . فَقَالَ لِي: كُنْ عَلَى الظَّلَامَةِ يَكْرُرُهَا دَفْعَاتٍ ٠٠٠)^(٢٦٠) وَحَصَلَتْ مِثْلُ تِلْكَ الْمَظَالِمِ لِأَهْلِ دِيَارِ رُبَيْعَةٍ ، حَيْثُ وَرَدَ حَضْرَةُ الْوَزِيرِ عَلِيِّ بْنِ عِيسَى جَمَاعَةً مِنْ تَنَائِهِمْ وَمَزَارِعِهِمْ يَتَظَلَّمُونَ مِمَّا عَوَمَلُوا بِهِ فِي سَنِي ٣١١ هـ ، ٣١٢ هـ ، ٣١٣ هـ مِنْ كَرَاهِهِمْ عَلَى تَضْمِينِ غُلَاتِ بِيَادِهِمْ بِالْحَزَرِ وَالتَّقْدِيرِ وَالزَّامِهِمْ حَقَّ الْأَعْشَارِ فِي ضِيَاعِهِمْ عَلَى التَّرْبِيعِ وَاسْتِخْرَاجِ الْخَرَاجِ مِنْهُمْ عَلَى أَوْفَرِ عِبَرِهِ^(٢٦١) . وَتَظَلَّمَ أَهْلُ الْكُوفَةِ إِلَى الْوَزِيرِ نَفْسَهُ فِي وَزَارَتِهِ لِلْقَاهِرِ مِنْ جَوْرِ عَامِلِهِمْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ بَشَّارٍ حَوْلِ الْأَسَالِيبِ غَيْرِ الْمَشْرُوعَةِ فِي مَطَالِبَتِهِمْ بِالْخَرَاجِ^(٢٦٢) .

وَكَثِيرًا مَا كَانَ يَتَحَوَّلُ هَذَا الْأَسْتِیَاءُ لَدَى النَّاسِ إِلَى هِيَاجٍ عَامٍ ضِدَّ السُّلْطَةِ مَطَالِبَةً بِتَحْسِينِ أَحْوَالِهِمْ وَرَفْعِ الْحَيْفِ عَنْهُمْ . وَرَبَّمَا يَجْسِدُ ذَلِكَ مَا تَضُمَّنُهُ كِتَابُ بْنُ أَبِي السَّلَاسِلِ إِلَى الْوَزِيرِ عَلِيِّ بْنِ عِيسَى حِينَ كَتَبَ إِلَيْهِ مَتَوَسِّلًا لِأَنْ يَطْلُقَ يَدَهُ بِتَعْذِيبِ أَهْلِ بَادُورِيَا وَالتَّشْفِي مِنْهُمْ وَاخْرَاجَ مَا عَلَيْهِمْ

من بقايا الخراج بعد ان امتنعوا صابرين على الحبس وأذى القيد جاء فيه (هؤلاء قوم يدلون بالجلد وعليهم اموال قد الطوا -منعوها- بها وصابروا على الحبس والقيد ومتى لم تطلق اليد في تقويمهم واستخراج المال منهم كسروه ، وتأسى بهم اهل السواد فبطل الارتفاع)^(٢٦٣) وتأتي هذه الاشارة كدليل على سرعة سريان التذمر في اوساط العامة من سلوك بعض رجال الحكومة الجائر . كما نار اهل بغداد واستغاثوا بالخلافة وكسروا منابر بعض المساجد ردا على ما كان يفعله حامد بن العباس الضامن لسواد بغداد والكوفة وواسط والبصرة والاحواز واصبهان من تخزين الغلال ومنع بيعها في الاسواق واحتكار تجارتها لنفسه بغية تحقيق ارتفاع في اسعارها . فاستعملت السلطة الشدة مع الثائرين وقتلتهم وتفاقم خطرهم حتى اطلقوا من كان في السجون وحرقوا بعض الجسور . الا ان المقتدر تمكن اخيرا من اخماد الاضطرابات بعد ان ضرب عناصرها بمنتهى القسوة وقبض على من احتسى بالمساجد منهم ونفاهم الى البصرة وأسقط أرزاق الجند منهم^(٢٦٤) . ثم أمر بفتح مخازن الغلة التي يملكها حامد بن العباس وبيعها في الاسواق ، كما فعل ذلك بمخازن السيدة امه وغيرها من الشخصيات ، فرخصت بذلك الاسعار وسكن الناس . علما بأن عقد الضمان مع حامد بن العباس قد فسخ بسبب هذه الحادثة^(٢٦٥) . وفي سنة ٣٧٥هـ / ٩٨٣م اجتمع الناس في جامع المنصور وعزموا على المنع من صلاة الجمعة وكان البلد يفتن احتجاجا على ضريبة الثياب البريسمية والقطنية المنتجة في بغداد ونواحيها والتي بلغ ايرادها الف الف درهم في السنة مما اضطر صمصام الدولة الى اعفائهم من ذلك^(٢٦٦) .

وهاج اهل الغتابين وباب الشام سنة ٣٨٩ هـ / ٩٨٩م على اجراءات الوزير 'ابي نصر سابور بن اردشير في وضعه العشر على ما يعمل من الثياب البريسميات والقطنيات بمدينة السلام وقصدوا المسجد الجامع بالمدينة يوم

الجمعة العاشر من ربيع الآخر ومنعوا الخطبة والصلاة وضجوا واستغاثوا، وباكروا الاسواق على مثل هذه الصورة واستمرت الحالة اياما حتى أخذت بالقوة وسرت الضريبة على قيم الثياب الابريسميات خاصة^(٢٦٧) . كما استجابت الجوامع سنة ٤٣٤هـ / ١٠٤٢م الى نداء الخليفة بغلق ابوابها ومنع الصلاة فيها يوم الجمعة احتجاجا على مصادرة جباية الجوالي من قبل عمال جلال الدولة ولم تفتح الجوامع ابوابها الا بعد عدول الملك البويهى عن ذلك^(٢٦٨) . وهاج العوام في الاسواق سنة ٤٣٨هـ / ١٠٤٦م ونشروا المصاحف احتجاجا على تصرفات صاحب الشرطة ابي محمد النسوي وما ارتكب من نضائع بتبعه الغرباء من ارباب البضائع والقبض عليهم ليلا ومصادرة اموالهم وقتلهم ثم القائهم في ابار وحفر معروفة المكان . اخرجت جماجمهم بعد انكشاف امرهم فيما بعد^(٢٦٩) . واستنجد اهل بغداد بالخليفة ٤٩٦ هـ من ظلم ينال بن أنوشكين لهم ومصادرته لاموالهم فأستجاب لهم ونهاه .

كلمة أخيرة :

علمنا ان المصادرات اصبحت سياسة ثابتة في النصف الثاني من العصر العباسي . تجمعت عنها مبالغ ضخمة للدولة استدعت استحداث ديوان خاص سمي بـ (ديوان المصادرين)^(٢٧٠) . بغية الاشراف على عملية استيفاء اموال المشمولين بالمصادرة وادارة شؤونها . وفي بعض الاحيان تفرع هذا الديوان الى دواوين فرعية تحمل اسماء شخصية لبعض المصادرين وذلك لضخامة الاموال التي صودرت منهم حيث أفرد ديوان خاص لاموال ام موسى القهرمانه عند مصادرتها سمي بـ (ديوان المقبوضات عن ام موسى واسبابها)^(٢٧١) . كما استحدث ديوان لادارة اموال مؤنس المظفر المصادرة سنة ٣١٩هـ / ٩٣١م بعد ان وقعت الوحشة بينه وبين الخليفة المقتدر الذي صادر امواله وهو في طريق توجهه نحو الموصل ، وأطلق على ذلك الديوان اسم (ديوان المخالفين)^(٢٧٢) .

ومع ذلك حاول البعض ان يدرج بعض الفوائد لنظام المصادرات على الرغم مما احدثته من ارباك في الجهاز الحكومي وما خلفته من اثار عرفت بمردوداتها السلبية على المجتمع وذلك باعتبارها «منعت تراكم الثروة المفرطة وقللت من التباين الاقتصادي بعض الشيء» ، رغم ان ذهاب اموال المصادرين للخزينة يعني اعادة توزيعها على الموظفين في الرواتب من جهة واستفادة الناس احيانا منها عن طريق الخدمات الاجتماعية التي تقدمها الدولة من جهة أخرى» (٢٧٣) .

وأقول: اذا كانت الدولة تملك بعض المبررات المقنعة لمصادرة موظفيها ممن عرفوا بابتزاز الاموال بطرق غير مشروعة اثناء العمل بمؤسساتها ، او السماح للمعينين بمصادرة المعزولين من اولئك الموظفين • فأنها قد لا تجد مثل تلك المبررات للمصادرات الجماعية المباشرة وغير المباشرة التي تعرض لها الناس على ايدي عمالها وموظفيها الماليين على وجه الخصوص • علما بأن الاساس في معالجة مثل تلك الظواهر الشاذة في الجهاز الاداري والسياسي للدولة كان يجب ان يبدأ بأجثاث جذورها المسببة دون الاقتصار على تشذيب ما يأتي به الفساد مع الابقاء على عوامله تنخر في كيان الدولة والمجتمع • هذا مع العلم ان معظم الاموال التي حصلت عن طريق المصادرة لم تدخل بيت مال المسلمين (٢٧٤) .

ومع ذلك يمكن ان نذكر للمصادرات فائدة مهمة كانت تعطي في بعض الاوقات مردودا ايجابيا حيث ان الاغنياء الذين كانوا لا يجدون في اخفاء اموالهم جدوى لاتقاء غائلة المصادرة لجأوا احيانا الى توزيع جزء منها على الفقراء او وقفها على وجود البر والاحسان ، حيث يربط بروكلمان (٢٧٤) بين هذا الاحتمال وما أقدم عليه بعض الاثرياء لاسيما السيدة شغب حين انفقت اموالا طائلة على الامور النافعة كاقامتها ببغداد بيمارستانا يقع على نهر

دجلة ويعرف بأسمها بعد ان وفرت له الاطباء والموظفين لاستقبال المرضى فيه ورصدت للانفاق عليه مبلغا شهريا يقدر بستمائة دينار^(٢٧٦)، اضافة الى صدقاتها الكثيرة على المحتاجين والمعوزين ، ووقوفها الاوقاف على المصالح الخيرية الاخرى^(٢٧٧) .

وينقل عن الوزير علي بن عيسى^(٢٧٨) الذي تعرض اكثر من مرة لنمصادرة^(٢٧٩) على انه في وزارته الثانية للمقتدر (٣١٤-٣١٦هـ/٩٢٦-٩٢٨م) عزف عن أخذ وارديا ع الوزارة بقصد الاقتصاد في النفقات^(٢٨٠) . وكان يحتفظ بسبعمائة دينار فقط من ايراداته السنوية لمصروفاته الشخصية والعائلية وينفق الباقي على وجوه البر المختلفة حيث يقول الصفدي أنه كان (يجري على خمسة واربعين الف انسان جرايات تكفيهم)^(٢٨١) . وانه انفق من ماله الخاص على بناء اليمارستان الذي اتخذه في محلة الحرية ببغداد^(٢٨٢) .

(١) الطوسي : كتاب الخلاف في الفقه - طهران ١/ ٣٣٠ ؛ راجع
ابو يوسف : كتاب الخراج - القاهرة ١٣٨٢م ط ٣ ص ٦٠ .

(٢) سورة البقرة : آية ١٩٤ .

(٣) لسان العرب - دار صادر - بيروت ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م (مادة
صدر) ٤/ ٤٤٧ .

(٤) تاج العروس - دار صادر - بيروت ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦ (مادة
صدر) ٣/ ٣٢٩ .

(٥) Levey : The Social Structure of Islam, London 1957, p. 304-310.

(٦) ابن سعد: الطبقات الكبرى - بيروت - دار صادر ١٣٧٧هـ/
١٩٥٧م ٢/ ١٣ ؛ وفي أحكام الزكاة : راجع اسعد بن حماتي : قوانين
الدواوين - القاهرة ١٩٤٢م ص ٣٠٨-٣١٧ .

(٧) البخاري : صحيح ١/ ١٩٠ .

(٨) ابو يوسف : كتاب الخراج ص ٧٦-٨٣ .

(٩) وقد شخص الله تعالى حصة الرسول (ص) من الغنائم بقوله
(وأعلموا انما غنمتم من شيء . فان لله خمسة وللرسول ولذي القربى
واليتامى والمساكين وابن السبيل ان كنتم آمنتم بالله) سورة الانفال:
آية ٤١ .

(١٠) ابن سعد : الطبقات الكبرى ٢/ ١٤ .

(١٢) المصدر نفسه ٣/ ٢٧٩ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية بيروت
ط ١٤٠٣/ ١٣٣٦ ، ١٣٧٠ .

١٣ - ابن الاثير : الكامل في التاريخ - المطبعة المنيرية - القاهرة
٢/ ٢٤٨ ١٣٥٧ .

(١٤) ابو يوسف : الخراج ص ١١٤ .

(١٥) الطبري : تاريخ الرسل والملوك - القاهرة ١٩٦٧م تحقيق ابو الفضل ابراهيم ٦١٤/٣ ؛ يقول ابو يوسف في الخراج (ص ١١٤) (ان عمر بن الخطاب (رض) كان يجبي العراق كل سنة مائة ألف درهم ثم يخرج اليه عشرة من اهل الكوفة وعشرة من أهل البصرة يشهدون اربع شهادات بالله انه من طيب ، ما فيه ظلم مسلم ولا معاهد).

(١٦) ابن سعد : الطبقات الكبرى ٢/٢٠٣ ، ٣/٢٨٢؛ الطبري : تاريخ الرسل والملوك ٢/٢٧٣ .

(١٧) اليعقوبي : تاريخ ، دار بيروت ١٣٧٩هـ/١٩٦٠م ٢/١٣٩ .

(١٨) المصدر نفسه ٢/١٨١ .

(١٩) ابو يوسف : الخراج ص ١١٦ .

(٢٠) راجع ابن سعد : الطبقات الكبرى ٣/٢٧٨ ؛ ابن القتيبي : البلدان طبعة ليدن ١٣٠٢ ص ١٥٦؛ وراجع الدوري : مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي - دار الطليعة - بيروت ١٩٦٩ ص ٤٩ .

(٢١) اليعقوبي : تاريخ ٢/١٧١ - ١٧٢ ، ١٧٣؛ تزعم هذه المعارضة

ابو ذر في عهد عثمان . راجع (

E.A. Belyaev: Arabs Islam and The Arab caliphate in the early middle ages. London 1969, p. 143.

(٢٢) اليعقوبي : تاريخ ٢/٢٠٧ ؛ ابن عبد ربه : العقد الفريد -

القاهرة ١٩٤٨ ١/٥٨ .

(٢٣) المصكدر نفسه ٢/٢١٨ ، ٢٣٤؛ وفي سنة ١٠٥ هـ كتب عبيدالله

بن الحباب صاحب خراج مصر الى هشام بن عبد الملك يقول (بأن ارض مصر تحتل الزيادة . فزاد على كل ينار قيراطا) . الكني : الولاة وكتاب القضاة - مطبعة الآباء اليسوعيين - بيروت - ١٩٠٨ ١٧٣-٧٤ .

(٢٤) اهتم معاوية الاول بايرادات العراق عموما حتى انه كان يقول

(ما للشام رجال العراق واموالها) ابن قتيبة الديوري : الامامة والسياسة - القاهرة ١٣٢٥ هـ ١/١٠٨ كما كان العراق موضع اهتمام من أعقبه من خلفاء الامويين . فقد اظهر عبد الملك حرصه على العراق في حربه مع مصعب بن الزبير وتصميمه على ضرورة انقاذ العراق من قبضته والقضاء على عدوه

بقوله (الشام بلد قليل المال ولا أمن نفاذه) للبلاذري : انساب الاشراف -
فلسين ١٩٣٨ ٥/٣٣٥ .

(٢٥) ابا عبيده : كتاب الاموال ص ٥٧١

(٢٦) راجع ابن عبد ربه : العقد الفريد ٤/٢٣ .

(٢٧) الخربوطلي : تاريخ العراق في ظل الحكم الاموي - مصر ١٩٥٩
ص ٣٨٩-٣٩٠ .

E.A. Belyaev: op. cit., p. 161. (٢٨)

(٢٩) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ٧/٩٠ .

(٣٠) ابو يوسف : الخراج ص ١١٤ ، ١١٩ ؛ كان عمر بن عبدالعزيز
شديد المحاسبة لنفسه في اموال المسلمين حيث يقول صاحب العيون
والحداث (وكان اذا سهر في أمر العامة أسرج عليه من بيت المال ، واذا
سهر في أمر نفسه اسرج من مال نفسه) طبع بالافست - مكتبة المثنى ببغداد
٦٣/٣ ؛ ويقول المسعودي (كان يشتري لعمر قبل خلافته الحلة بألف دينار
فاذا لبسها استخشنها فلما أتته الخلافة كان يشتري له قميص بعشرة
دراهم فاذا لبسه استلانه) . مروج الذهب (طبعة دار الرجاء بالقاهرة)
١٢٢/٣ .

(٣١) المقرئ : خطط - طبعة بولاق ١٢٧٠ هـ ٢/٢٥٩ ؛ وراجع
الطوسي : كتاب الخلاف في الفقه ١/٣٣٠ .

(٣٢) عدا بعض صوافي العراق التي أقطعها البعض بمساحات محدودة
قد لا تسمح لهم أن يكونوا منها اقطاعات زراعية واسعة (راجع الطبري:
تاريخ الرسل والملوك ٣/٥٨٩ ؛ ابو يوسف : الخراج ص ٥٨) . والصوافي:
هي الارض التي اصفها عمر بن الخطاب من (اموال كسرى وآل كسرى
وكل من فر عن ارضه وقتل في المعركة وكل مغيض ماء او أجمه ، وكان
عمر يقطع من هذه لمن اقطع) ابو يوسف : الخراج ص ٥٧-٥٨ . وهي
بمثابة الاراضي الاميرية التي تعود ملكيتها العامة للمسلمين ، لكن عمر
لم يأخذ من واحد ويعطي آخر لانه أعير ذلك غصبا (المصدر نفسه
والصفحة) ويذهب ابو يوسف الى ان عمر احتذى بالرسول لان النبي (ص)

اقطع اقواما • وان الخلفاء من بعده اقطعوا • ورأى رسول الله (ص) الصلاح
فيما فعل من ذلك اذ كان فيه تآلف على الاسلام وعمارة للارض • وكذلك
الخلفاء انما اقطعوا من رأوا أن له غناء في الاسلام ونكاية للعدو ورأوا أن
الافضل ما فعلوا ولولا ذلك لم يأتوه ولم يقطعوا حق مسلم ولا معاهد
(الخراج ص ٦٣) وكانت معاملة النبي السمحاء هذه لاهل مكة بدافع من
الضرورة التاريخية •

(٣٣) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ٣٤٨/٤ : الخربوطلي :
تاريخ العراق في ظل الحكم الاموي ص ٣٤٧ : راجع

E.A. Belyaev: op. cit., p. 143-144.

(٣٤) مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي ص ١٩ •

(٣٥) راجع ابو يوسف: الخراج ص ٦٢:

E.A. Belyaev: op. cit., p. 144.

(٣٦) راجع مقالة ثورة الزنج في البصرة - بقلم احمد علي - مجلة
بحوث المؤتمر الدولي للتاريخ ٢٥ آذار ١٩٧٣ مطبعة اسعد-بغداد ١٣٩٤هـ/
١٩٧٤م ص ٧٣٢ : وراجع اليعقوبي في تاريخه ١٩٤/٢ •

(٣٧) اليعقوبي : تاريخ ٢٠٧/٢ •

(٣٨) المصدر نفسه ٤٨/٣ : البلاذري : فتوح البلدان • مطبعة
الموسوعات - القاهرة ١٣١٩ هـ/ ١٩٠١م ص ٢٩٨ ، ٣٠٢ : ياقوت الحموي:
معجم البلدان - مطبعة السعادة ١٣٢٣هـ/ ١٩٠٦م ص ٢٠٠ •

(٣٩) راجع الماوردي : الاحكام السلطانية - مطبعة الوطن ١٢٩٨هـ
ص ١٨٣ •

(٤٠) الخربوطلي : تاريخ العراق في ظل الحكم الاموي ص ٣٤٧:
بندلي جوزي : من تاريخ الحركات الفكرية في الاسلام القدس ١٩٢٨م
ص ٤٨ •

(٤١) الدوري : مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي ص ٢٥ •

(٤٢) ابو يوسف : الخراج ص ٤١ •

- (٤٣) الدوري : المرجع السابق ص ٢٧ .
 (٤٤) أبو يوسف : المرجع السابق ص ٥٧ .
 (٤٥) ديموبين : النظم الاسلامية - مطبعة الزهراء - بغداد ١٩٥٢
 ص ٢٤٤ .

Rom Landau: Islam and the Arabs, Lon- (٤٦)
 don 1958 p. 56.

(٤٧) راجع ابن الاثير : الكامل في التاريخ ١٨٤/٦ ، فان فلوطن:
 السيادة العربية . ترجمة د. حسن ابراهيم ومحمد زكي ابراهيم - القاهرة
 ١٩٣٤ ص ٣٠ ؛ او

E.A. Belyaev: op. cit., p. 191

(٤٨) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسي - مصر ١٩٦٤
 ط ٢٧٧/٢

(٤٩) كان بعض الخلفاء يميلون الى القيسييه وبعضهم الآخر الى
 اليمانية (راجع العيون والحداثق - مؤلف مجهول ١٩/٣ ، ٨٤ ، ٨٥ ،
 ١٣٣ . اليعقوبي : تاريخ ٣٨/٣ ، ٦٣ ، الجهشياري : كتاب الوزراء
 والكتاب - مطبعة الحلبي - القاهرة ١٣٥٧/١٩٣٨م ص ٤٩ ؛ ابن قتيبه
 الدينوري ؛ الامامة والسياسة ١٣٢/٢ ، الطبري: تاريخ الرسل والملوك
 ٤/٩ .

E.A. Belyaev: op. cit., p. 157-165

(٥١) راجع الطبري : تاريخ الرسل والملوك ٢٦٨-٢٦٩ ؛ مؤلف
 مجهول : العيون والحداثق ١١٣/٣ ، ١٣٣ .

(٥٢) البلاذري : فتوح البلدان ص ٢٩٤ .

(٥٣) المسعودي : مروج الذهب ٧١/٤ ؛ مسكويه : تجارب الامم
 - الطبعة المحمدية - مصر ١٣٣٣هـ/١٩١٥م ، ص ٢٣٨ ؛ ابن الجوزي:
 المنتظم - حيدر اباد ، الدكن ١٣٥٧ هـ/٢٤٣ ؛

Bowen, H.: The Life and Times of, Ali Ibn Isa, The good vizier, Cambridge 1927, p. 101.

• (٥٤) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ٤٣/٦

(٥٥) عن بذخ المتوكل راجع المسعودي : مروج الذهب ٧١/٤ ؛ وقد
اطنّب للمؤرخين عن الانفاق والبذخ في عصر المقتدر راجع حمدان الكبيسي :
عصر المقتدر - مطبعة النعمان - النجف الاشرف ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م
ص ٦٤-٦٦ •

• (٥٦) راجع ابن الفقيه : البلدان ص ١٥٦

(٥٧) الاصفهاني (ابو نعيم) : حلية الاولياء - مطبعة السعادة-مصر
١٣٥٥هـ/١٩٣٦ م ٣٧٧/٦ ؛ وفي الخطيب البغدادي (حج عمر بن الخطاب
فأنفق في حجه ستة عشر دينارا وانت حججت فأنفقت في حجتك بيوت
الاموا) تاريخ بغداد - مطبعة السعادة - مصر ١٣٤٩ هـ / ١٩٣١ م ١٦٠/٩
وراجع ايضا ابن خلكان : وفيات الاعيان - دار الثقافة - بيروت ١٩٦٩
• ٣٨٧/٢

(٥٨) راجع الطبري : تاريخ الرسل والملوك ٣٢٤/٨ ، ٥٢٤ ؛ ابن
الاثير : الكامل في التاريخ ٢٧٥/٥ ، ١٨٣/٧ ؛ ابن خلكان : وفيات الاعيان
٧٣/٢ ، ٢٨١ ؛ المقرئزي : خطط ٩٥/١ ، ٩٩ ، ٤٠١ ؛ ٣/٢ ؛ ابن
خلدون : العبر ٩٦/٣ ؛ ابن ابي اصيبعة : طبقات الاطباء (القاهرة ١٢٩٩ هـ /
١٨٨٢ م) ١٣٢/١ ، ١٣٦ ؛ السيوطي : تاريخ الخلفاء (مطبعة القاهرة
١٩٦٤ م) ١١٩-١١٥/٢ •

• (٥٩) حمدان الكبيسي : المصدر السابق ص ٥٦٧ ، ٥٧٢ •

(٦٠) راجع الصابي في كتابه الوزراء ص ١١-٢٢ ؛ الدوري :
تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري ص ١٦٨ راجع زيدان :
تلمدن الاسلامي ٦٨/٢ ، ١٠٥ نقلا عن (Von Kremer)

في كتابه :

(Einnahmebudget des Abbasiden Reiches, Vom Jahre 306, wien, 1887, p. 27 off.)

وفي بيان نفقات الخليفة المقتدر راجع مسكويه في كتابه تجارب الامم ٢٢٨/١ .

(٦١) في المغرب الاسلامي كدولة الادارسة والاغالبة والطولونية والاششيدية ثم الفاطمية وفي المشرق الاسلامي كالتاهرية والسامانية والغزنوية بالاضافة الى العديد من الامارات الاخرى .

(٦٢) مسكويه : تجارب الامم ١٧٢/١ ؛ ابن الجوزي ؛ المنتظم ١٢٣/٥ .

(٦٣) الجهشيارى : الوزراء والكتاب ص ٢٨١-٢٨٢ .

(٦٤) راجع قدامه بن جعفر : كتاب الخراج - ليدن ١٣٠٩هـ / ١٨٩٨م ص ٢٤٩-٢٥١ .

(٦٥) المسالك والممالك - نشر دي غويه - ليدن ١٨٨٩م ص ٢٣٨-٢٤٧ ، ٢٣٩ .

(٦٦) زيدان : التمدن الاسلامي - القاهرة - دار الهلال ١١٦/٢ .

(٦٧) عكس هذا التباين الطبقي الزراعي آثاره السلبية من خلال ثورة الزنج وضخامتها وحركة القرامطة وابعادها في الدولة العباسية (راجع الدوري: مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي ص ٧١) .

(٦٨) مسكويه تجارب الامم ٩٦/٢ ؛ البنداري : تاريخ دولة آل سلجوق ، مطبعة الموسوعات - مصر ١٣١٨هـ / ٣١٩٠٠ ص ٥٥ .

(٦٩) امتد النشاط التجاري الى المغرب الاقصى والاندلس وشرق افريقيا في المغرب والى روسيا وحوض البلطيق في الشمال والى الهند والصين وكوريا في المشرق (الدوري : المصدر السابق ص ٦٨ ؛

E.A. Belyaev: op. cit., p. 236

(٧٠) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسي ٣١١/٣ .

(٧١) الوزراء (تحقيق عبدالستار احمد فراج) القاهرة ١٩٥٨م
ص ١٤٩؛ مسكويه : المصدر السابق ١٣/١ ، ١٢٨؛ ابن الاثير : الكامل
١٧٤/٦ .

Sourdel, A. : Levizirat Abbaside, de 74, A. 932 (132 a.
324 de l'Hegire). Tome II, Damas p. 426.

Bowen, H. : op. cit., p. 242.

(٧٢) ابو يوسف : الخراج ص ١١١-١٢ ، وجاء في نصيحة ابو
يوسف للرشد قولة (هذا عمر بن الخطاب (رض) كان يجبي السواد مع
عدله في اهل الخراج وانصافه لهم ورفع الظلم عنهم مائة الف الف ،
والدرهم اذ ذاك وزنه وزن المثقال ، فلو تقربت الى الله عز وجل يا امير المؤمنين
بالجلوس لمظالم رعيتك في الشهر او الشهرين مجلسا واحدا تسمع فيه من
المظلوم وتنكر على الظالم رجوت أن لا تكون ممن احتجب عن حوائج رعيتك،
ولعلك لا تجلس الا مجلسا أو مجلسين حتى يسير ذلك في الامصار والمدن
فيخاف الظالم وقوفك على ظلمه فلا يجتريء على الظلم ويأمل الضعيف
المقهور جلوسك ونظرك في أمره فيقوى قلبه (٠٠٠).

(٧٣) المقرئ : خطط ١٠٩/١ ٣٣٣ .

(٧٤) المقدسي : احسن التقاسيم - باعتناء دي غويه - ليدن ١٩٠٦م
ص ١٠٤ .

Bowen, H. : op. cit. p. 76 (٥٨)

(٧٦) الماوردي : الاحكام السلطانية ص ٧٨ .

(٧٧) ابو يوسف : الخراج ص ١٠٧-١٠٨ .

(٧٨) المسعودي : مروج الذهب ٨٨/٢ .

(٧٩) ابو المحاسن ث النجوم الزاهرة - مطبعة دار الكتب المصرية -
القاهرة ١٣٤٨هـ/٩٢٩ م ١٧٥/١ .

(٨٠) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ٣٢٤/٨ .

(٨١) ابن الاثير : الكامل ٨١/٦ .

(٨٢) مجهول : العيون والحدائق اخبار الحقائق ٣/٣٨٤ : ابن
خلكان : وفيات الاعيان ١/٥٤ : الذهبي : العبر - تحقيق صلاح الدين
المنجد - الكويت ١٩٦٠ ١/٣٧٩ .

(٨٣) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ٩/١٢٥ : ابن كثير : البداية
والنهاية - مطبعة السعادة - القاهرة ١٣٥١هـ/١٩٣٢م ١١/٨ .

(٨٤) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ٩/١٢٥-١٢٧ .

(٨٥) المصدر نفسه ١١/١٠ : ابن الاثير : الكامل ٧/٧ .

(٨٦) راجع اليعقوبي : تاريخ ٣/٢٠٩ ، ٢١٦ : الطبري : تاريخ
الرسل والملوك ١١/٣٥ ، ٤٥-٤٦ ابن الاثير : الكامل ٧/٢٦-٢٧ .

(٨٧) ابن العبري : تاريخ مختصر الدول - المطبعة الكاثوليكية -
بيروت ١٩٥٨ ط ٢ ص ١٤٤ .

(٨٩) المصدر نفسه ٣/٨٨ .

(٩٠) كتاب تحفة الوزراء المنسوب الى ابي منصور الشعالي تحقيق
ريجين هانكه - منشور في مجلة الابحاث - كانون الاول ١٩٧٢ : الجامعة
الاميريكية بيروت ومارون عبود : بديع الزمان الهمداني ، دار المعارف -
القاهرة ١٩٦٣ ص ١٠ .

(٩١) مسكويه : المصدر السابق ١/١٥٤ .

(٩٢) المصدر نفسه ١/٢١٥ : ابن الاثير : المصدر السابق ٨/١٧٦ .

(٩٣) زيدان : المرجع السابق ٢/١٦٦ : وفي مسكويه انها بلغت ١٧
مليون دينار عينا وورقا تجارب الامم ١/٢١٩-٢٤٠ .

(٩٤) ابن الاثير : المصدر السابق ٨/٩٠ .

(٩٥) مجهول : العيون والحدائق - تحقيق نبيله عبدالمنعم - مطبعة
النعمان - النجف الاشرف ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م ١/٤/٢٦٨-٢٦٩ .

(٩٦) الوزراء ص ٣٢٣ : وعن علاقة الوزير علي بن عيسى مع
القرامطة راجع :

Bowen, H.: op. cit., p. 196
(Ali bin Isa), The Encyclopaedia of Islam, London,
1960 Vol. 1, p. 387.

• (٩٧) الكامل في التاريخ ٩/١٥٠-١٥١

• (٩٨) العبر ٤/٢٥١

(٩٩) نشوار المحاضرة - (تحقيق عبد الحميد العلوجي) بيروت
١٣٩٠هـ/١٩٧١م ١/٩٦

• (١٠٠) مسكويه : المصدر السابق ٢/١٠ ، ١٥٧ ، ١٦٢ ، ١٨٤-
١٨٥؛ ابن الاثير : الكامل ٨/٥٣٤

• (١٠١) الصولي : الاور اق - القاهرة ١٩٣٥م ص ٢٤٠ : الذهبي :
المصدر السابق ٢/٢٢٤

• (١٠٢) مسكويه : المصدر السابق ٢/٨٦-٨٧ : ابن الجوزي :
المصدر السابق ٦/٣٤٢ ، ابن الاثير : المصدر السابق ٨/٥٤١ : ابن خلدون :
العبر وديوان المبتدأ والخبر - القاهرة ١٢٨٤هـ ٣/٨٧٥ : ابو المحاسن :
صدر السابق ٣/٢٨٥

• (١٠٣) المصدر نفسه ٢/٣٠٨ : المصدر نفسه ٧/٨٧ : ابن الاثير :
المصدر السابق ٨/٦٢٠

Muir: The Caliphate, Beirut 1963 p. 582 (١٠٤)

• (١٠٥) ابن الجوزي : المصدر السابق ٧/١٥٦ : ابن الاثير : المصدر
السابق ٩/٧٩

• (١٠٦) المصدر نفسه ١٠/٥٤-٥٥ : المصدر نفسه ٨/٣٥٢

• (١٠٧) المصدر نفسه ١٠/٦٦ ، ٦٨

• (١٠٨) المصدر نفسه ١٠/٦١

• (١١٠) المصدر نفسه ٨/١١٣ : الذهبي : تاريخ الاسلام - مخطوط
مكتبة الآثار - بغداد - برقم ١٦٥٨ تاريخ المجلد الثاني ص ٢٤٩

(١١١) ابن الاثير : المصدر السابق - مطبعة الاستقامة-القاهرة

• ٢٢/١

(١١٢) المصدر نفسه ١٣٠/٧ ، ١٣٧ •

Lambton: Landlord and Peasant in Persia, London 1963, p. 50: Reflections of the IQTA "Arabic and Islamic Studies in Honor of H.A.R. Gibb" 1965, pp. 367-370.

C. Cahen L'évolution de L'Iqta du IXe au XIIIe Siècle, "Annales economic, social et civilization" 1953, p. 36.

(١١٢) مسكويه : المصدر السابق ٩٨/٢ •

(١١٣) ادم متز : تاريخ الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري -

بيروت ١٣٧٧هـ/١٩٥٧م ط ٢٤ ص ٣٣٤ ، ٣٧١ •

(١٤) جمع طرخان ، وهو الرئيس •

(١١٥) الجهشياري : كتاب الوزراء والكتاب - القاهرة ١٩٣٨

ص ٢٢٨ •

(١١٦) هو ابو عبدالله الحسين عبدالله الجصاص الجوهري (ت ٣١٥هـ

٩٢٧م ، ابن الجوزي: المنتظم ٢١٢/٦ ؛ ابو المحاسن : المصدر السابق

١٨٥/٣ ، ٢١٨ ؛ ابن كثير : المصدر السابق ١١/١٥٦ وقد قيل ان العقد

الواحد من مجوهراته بلغت قيمته ٢٠٠ الف دينار (ابن الجوزي • نفس

المصدر ٢١٢/٦) •

(١١٧) التنوخي : نشوار المحاضرة ٢٦/١ ؛ ابو المحاسن : المصدر

السابق ١٨٥/٣ ؛ الذهبي : تاريخ الاسلام م ٢ ص ٥٥ •

(١١٨) ابن الاثير : المصدر السابق ٢١/٩ ؛ ابو المحاسن ٢٤٩/٣ •

(١١٩) ابو المحاسن: المصدر نفسه ٢٨٥/٣ •

(١٢٠) الذهبي : تاريخ الاسلام م ٢ ص ١٠٨ •

(١٢١) ابو المحاسن : المصدر السابق ٣/٣٢٧ •

(١٢٢) مسكويه : المصدر السابق ٣٠٨/٢ : الذهبي : تاريخ الاسلام
م ٢ ص ١٣٧ .

(١٢٢) ابن عنيه: عمدة الطالب في انساب آل ابي طالب - المطبعة
الحيدرية - النجف ١٣٨هـ/١٩٦١ ص ٢٧٨ ، ٢٧٩ .

(١٢٣) ابن الاثير : المصدر السابق ٣٤٩/٩ ، ابو الفداء : المختصر
في اخبار البشر - دار الكتاب اللبناني - بيروت ١/٢/٥٤ .

(١٢٤) المصدر نفسه ٣٦٧/٩ .

(١٢٥) المصدر نفسه ٤٢٣/٩ .

(١٢٦) المصدر نفسه ٤٥٩/٩ .

(١٢٧) ابن الجوزي : المصدر السابق ٢٧/٩ .

(١٢٨) المصدر نفسه ١٣٧-١٣٨ .

(١٢٩) المصدر نفسه ٥/١٠ .

(١٣٠) المصدر نفسه ٦٧/١٠ ، ١٠٣ ، ١٣٢ .

(١٣١) المصدر نفسه ٢٠٠/١٠ ؛ ابن الاثير : المصدر السابق
٦٠-٦١/٩ .

(١٣٢) الطبري : المصدر السابق ٣٩٤-٣٩٥/٩ ، ابن الاثير :
المصدر السابق ٧/٢٠٠ ؛ ابو الفداء : المختصر في اخبار لابشر ١/٣/٥٩ .

(١٣٣) الطبري : المصدر نفسه ٣٩٦/٩ .

(١٣٣) الطبري ق المصدر نفسه ٢٨٤/٩ .

(١٣٤) التنوخي : نشوار المحاضرة ، دمشق (المجمع العلمي
العربي) ١٩٣٠ ٨/٤٨ .

(١٣٥) ابن الاثير : المصدر السابق ٨/٢٠٠ .

(١٣٦) ابو المحاسن : المصدر السابق ٣/٢٢ .

(١٣٧) مسكويه : تجارب الامم ١/٢٤٤ ؛ التنوخي : المصدر السابق
٧٧/٢ ؛ وفي ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ٣/٢٣٩ (لم تظهر من مالها الا
ما قيمته ١٣٠ ألف دينار) .

- (١٣٨) المصدر نفسه ٢٠/١ : الصابي : الوزراء ص ٣٤ ، ٦٩ ؛
ابن الجوزي : المصدر السابق ١٠٩/٦ .
- (١٣٩) مسكويه : المصدر نفسه ١٥٥/١ ؛ عريب : صلة الطبري -
مطبعة الاستقامة - القاهرة ١٣٥٨ هـ / ١٩٣٩ م ص ٨٨ .
- (١٤٠) ابو المحاسن : المصدر السابق ١٠٠/٥ .
- (١٤١) الصابي : المصدر السابق ص ٧٧ ؛ مسكويه : المصدر
السابق ١٣٧/١ - ١٣٨ .
- (١٤٢) عريب : صلة الطبري ص ٨٨ ؛ ابن الاثير : المصدر السابق
١٦٤/٨ .
- (١٤٣) ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ٣/٢٠٤ ؛
Bowen, H. Op. Cit. p. 198.
- (١٤٤) ابو المحاسن : المصدر السابق ٣/٢٠٤ ؛ الكبيسي : عصر
المقتدر ص ٥٦١ .
- (١٤٥) ابن منظور : مختار الاغاني ٤/٢٦٢ .
وربما جوز الرشيد ذلك مصداقا للحديث النبوي الشريف (ايما رجل
مات او افلس فصاحب المتاع احق بمتاعه اذا وجده بعينه) الطوسي : كتاب
الخلاف في الفقه ١/٦١٨ .
- (١٤٦) مجهول : العيون والحداثق ٣/٣٠٦ .
- (١٤٧) راجع في المواريث كتاب قوانين الدواوين لاسعد بن مماتي
(ت ٦٠٦ هـ) تحقيق د . عزيز سوريال عطيه - القاهرة ١٩٤٢ ص ٣١٩ -
٣٢٢ .
- (١٤٨) ابن الجوزي : المصدر السابق ١٠٨/٦ .

Sourdel: op. cit., Tome 11, p. 42.

- (١٥٠) الدوري : تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري -
مطبعة المعارف - بغداد ١٩٤٨ م ص ٢٠٠ .
- (١٥١) الصابي : (اقسام ضائعة من كتاب تحفة الامراء في تاريخ

الوزراء) - مطبعة المعارف ببغداد ١٣٦٧ هـ / ١٩٤٨ م ص ٣٩؛ ابن الاثير:
المصدر السابق ٥٣٤/٨ .

(١٥٢) د. محمد حلمي : الخلافة والدولة في العصر العباسي - القاهرة
١٣٧٨ هـ / ١٩٥٩ م ط ١ ص ١٦١ .

(١٥٣) هلال الصابي : تاريخ (اعتنى بتصحيحه أمدرود) ملحق بذي
تجارب الامم لابي شجاع - المطبعة المحمدية - مصر ١٣٣٣/١٩١٥ م
٣٤٨-٣٤٦/٨ .

(١٥٤) ديوان ابن المعتز - تحقيق محي السن الخياط - دمشق
١٣٧١ هـ ص ١٥٨ .

(١٥٥) هلال الصابي : تاريخ ٣٣٦/٨ ، ابن الجوزي : المصدر
السابق ٣٤٠/٦ ، ١١٦/٧ ، ١٧٤ ، ١٢٧ /٨ ٢٥ : ابو شجاع : ذيل
تجارب الامم ص ٧٢٠-٧٨ ، ابن حوقل : المسالك والممالك ص ٢١٤ ،
٢١٧ : ابن الاثير : الكامل ٤٥٠/٨ ، ٢١/٩ ، ٢٨ ، ٢٤٦ ، ٤٠٧ : الذهبي :
تاريخ الاسلام م ٢ ص ١٥٤ : السيوطي : تاريخ الخلفاء ص ١٦٤ ، ١٧٥ ،
خواندمير : حبيب السير (فارسي) ص ٤٢٧ : عباس العزاوي : تاريخ
الضرائب العراقية . طبع شركة التجارة والطباعة - بغداد ١٩٥٨
ص ٢٩-٢٤ .

(١٥٦) الراغب الاصفهاني : محاضرات الادباء ٤٢٠/٢ .
(١٥٧) المصدر نفسه ٤٢١/٢ .

Bowen, H.: op. cit., p. 80 (١٥٨)

(١٥٩) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ٣١٤/٨ .

(١٦٠) ابن منظور : مختار الاغانى ٣٠٢/٤ .

(١٦١) أي يأخذ راتبه ويقبل الرشوة والهدية .

(١٦٢) ابن منظور : المصدر السابق ٣٠١/٤-٣٠٢ .

(١٦٣) التنوخي : المصدر السابق ٣٠١/٤-٣٠٢ .

(١٦٣) التنوخي : المصدر السابق ٥٤/٨ .

- (١٦٤) راجع ابن الجوزي : المصدر السابق ١٠٩/٦ ، ١١٠٢ : ادم
متن: تاريخ الحضارة الاسلامية ٢١٢/١ .
- (١٦٥) عريب : الصلح ص ٧٥ .
- (١٦٦) المصدر نفسه ص ٧٨ .
- (١٦٧) مسكويه : المصدر السابق ٢٥٣/١ .
- (١٦٨) التنوخي : الفرج بعد الشدة ١٢٦/١ .
- (١٦٩) مسكويه : المصدر السابق ٥٨/١ ، ٥٩ .
- (١٧٠) هلال الصابي : الوزراء ص ٣٦ .
- (١٧١) المصدر نفسه ص ٢٦٥-٢٦٦ ، وعن ابن الفرات في وزارته
للمقتدر راجع
- Sourdel: op. cit., Tome II, p. 388
- (١٧٢) مسكويه : المصدر السابق ٥٨/١ ، الذهبي : تاريخ
الاسلام ٢ م ص ٤٥ .
- (١٧٤) الصولي : الاوراق ص ٤ .
- (١٧٥) المصدر نفسه والصفحة .
- (١٧٦) كان اميا يعمل في أول أمره نخاسا يبيع الرقيق ، وسعى
لاشغال منصب كاتب الامير معز الدولة مكان ابا جعفر الصبحري ، وبذل
مالا لتحقيق ذلك فأطعمه معز الدولة فيما قدر وتقدم اليه بحمل المال ولما
صح المال الى خزينة الامير البويهى عدل عنه الى ابي محمد المهلبى (راجع
مسكويه : المصدر السابق ٢٣٧/٢) .
- (١٧٧) ياقوت الحموي : معجم الادباء - مصر ١٩٢٣ (تصحيح
مرجليوث) ط ٢ ١٨١/٣ مسكويه : تجارب الامم ١٢٤/٢ .
- (١٧٨) المصدر نفسه والصفحة .
- (١٧٩) ابو حيان التوحيدى : الامتاع والمؤانسة - تحقيق احمد
امين واحمد الزين - القاهرة ١٣٧٣ هـ / ١٩٥٣ م ١٤٩/٣ .
- (١٨٠) ابو شجاع : ذيل تجارب الامم ص ٢٥٨ .
- (١٨١) المصدر نفسه ص ٣٣١ : الصابي : تاريخ (ملحق بذييل

- تجارب الامم) ٤٥٨/٨ ، ابن الجوزي : المصدر السابق ٢٢٢/٧ .
- (١٨٢) ابن الجوزي : المصدر السابق ١٢/١٠ ؛ ابو المحاسن :
المصدر السابق ٢٣٤/٥ ، وراجع البنداري : تاريخ دولة آل سلجوق
ص ١٤٧ ، ١٧٠ .
- (١٨٣) المصدر نفسه والصفحة .
- (١٨٤) د* محمد حلمي : المصدر السابق ص ١١٠-١١١ .
- (١٨٥) الصابي : الوزراء ص ١٧ .
- (١٨٦) المصدر نفسه ص ١٠-١١ .
- (١٨٧) ابن طاهر الازدي : اخبار الدول المنقطعة - مخطوط مصور -
دار الكتب المصرية برقم ٨٩٠ تاريخ ورقم ١٣١ .
- (١٨٨) الصابي : الوزراء ص ١٠-١١ ، ٤٠ .
- (١٨٩) ابن الاثير : الكامل ١٢٦/٧ .
- (١٩٠) ابن الجوزي : المنتظم ١٥٩/٦ .
- (١٩١) مسكويه : المصدر السابق ٦٠/١ ، ٦٢ .
- (١٩٢) عريب : المصدر السابق ص ٥٥ .
- (١٩٣) الصابي : الوزراء ص ٢١٣ .
- (١٩٤) تاريخ الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري ٢/٢٥٠ .
- (١٩٥) نشوار المحاضرة ٢/٢٤ ؛ وللمزيد من الامثلة راجع الصابي:
الوزراء ص ٣٧٣ .
- (١٩٦) الدوري : مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي ص ٨٨-٩٠ ،
٩٧-٩٧ ؛ ويسميه لامبتون (الاقطاع الحربي)
- Lambton: Landlord and Peasant in Persia London 1963, p. 61.
- : Reflections on the Iqta, (op. cit.,) p. 368
C. Cahen: op. cit., pp. 25-52.

(١٩٧) مسكويه : المصدر السابق ٩٦/٢ ، ٩٧ : الدوري : مقدمة
في التاريخ الاقتصادي العربي ص ٨٨ .

C. Cahen: op. cit., p. 32 (١٩٨)

Lambton: Reflections on the Iqta (op. cit.,) p. 367.

(١٩٩) مسكويه : المصدر نفسه ٩٧/٢ ، ٩٨ .

(٢٠١) كان الاقطاع العسكري اقرب الى الضمان منه الى الاقطاع المدني ذو الشكل القانوني الوراثي ، لان الامير البويهري كان باستطاعته استرجاع الاقطاع من المقطاع اليه . لان المقطاع العسكري كان يتمتع بكافة صفات الضامن للارض من الحكومة بموجب عقد او مقابل اموال سنوية بالاضافة الى واجبات يؤديها في الارض المستغلة بالضمان (راجع ابو شجاع: ذيل تجارب الامم ص ١٣٧ ، ٢٤٥) .

(٢٠٢) تجارب الامم ٩٩/٢ .

(٢٠٣) راجع الدوري : مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي ص ٩٧ .

(٢٠٤) المرجع نفسه ص ٩٩ .

(٢٠٥) ابن الاثير : المصدر السابق ٨٨/٩ ؛ وراجع الامارة الزيدية للدكتور عبد الجبار ناجي ص ٢٠٥ .

(٢٠٦) ابو شجاع : المصدر السابق ص ٢٩٣ ، ابن خلدون : المصدر السابق ٦١٤/٤ ، ابو الفداء : المصدر السابق ١٣٩/٤/١ .

(٢٠٧) د . عبد الجبار ناجي : الامارة الزيدية ص ١٩٩ ؛ وفي المنتظم لابن الجوزي (٢٣٥/٩) : ان حمايتهم لسورا كانت بدون مقابل .

(٢٠٨) مسكويه : المصدر السابق ٨٨/٢ ، الذهبي : تاريخ الاسلام م ٢ ص ١٠٩ ؛ ابو الفداء : المصدر السابق ١٨٩/٣/١ . عزل ابن ابي الشوارب عن القضاء سنة ٣٥٢ هـ تحت ضغط الخليفة وتقلدها ابو بشر عمر بن اكنم بلا رزق واعفي مما كان يحمله ابن ابي الشوارب لخزينة الامير معز الدولة ، كما ابطال جميع السجلات التي كان يستعملها سلفه (راجع مسكويه: المصدر السابق ١٩٢/٢) .

(٢٠٩) نفس المصادر والصفحات .

(٢١٠) مسكويه : المصدر السابق ١١٩/٢ .

(٢١١) تولى الوزارة ثلاث دفعات الاولى سنة ٢٩٦-٢٩٩ هـ، والثانية سنة ٣٠٤-٣٠٦ هـ والثالثة سنة ٣١١-١١٢ هـ (راجع مسكويه: تجارب الامم ١/١٣-٢٠ ، ٤١-٥٦ ، ٩١-١٢٢) .

(٢١٢) تولى الوزارة من سنة ٣٠١-٣٠٤ هـ، ومن سنة ٣٠٦-٣١١ هـ حيث كانت لحامد بن العباس بالاسم وله بالحقيقة والممارسة لصلاحياته كوزير . ومن سنة ٣١٤ هـ-٣١٦ هـ (راجع مسكويه: المصدر السابق ١/٥٩-٨٥ ، ١٤٩-١٨٥) .

(٢١٣) العيني : عقد الجمان - مخطوط مصور - دار الكتب المصرية برقم ١٥٨٤ تاريخ م ٣١٥ ورقة ٤٥٤ .

(٢١٤) مسكويه : المصدر السابق ١/٣٣٢-٣٣٣ ؛ ابن الجوزي : المصدر السابق ٦/٢٨١ .

(٢١٥) المصدر نفسه ١/٢٢ ؛ هو ابو الحسن محمد بن جعفر بن ثوابه (١/٥٩ ؛ وياقوت الحموي : معجم الادباء ٢/٣٧) .

(٢١٦) المصدر نفسه ١/١٢٨ .

(٢١٧) الذهبي : تاريخ الاسلام م ٢ ص ١٠ .

(٢١٨) الصابي : الوزراء ص ٦٩ ؛

Sourdel : op. cit., TOME, II, p. 420.

(٢١٩) ابن الاثير : المصدر السابق ٨/١٤٢ .

(٢٢٠) الصابي : الوزراء ص ١٣٩ .

(٢٢١) راجع الوزراء للصابي ص ٦٩ ، ١٣٨ ، ٢٦٥ ، ٢٩٨-٢٩٩ ؛

الذهبي : تاريخ الاسلام م ٢ ص ٩١ ؛ ابن الجوزي : المنتظم ٦/٢٣ .

التنوخي : نشوار المحاضرة ٨/٥٠ - ٥١ ؛ المرتضى أحمد بن يحيى :

ذكر المعتزلة ص ٥٢ .

- (٢٢٢) مروج الذهب ٥٢/٤ : راجع التنوخي : الفرج بعد الشدة
- ٠ ٦٤/٢ : غرس النعمة : الهفوات النادرة ص ١٥١
- (٢٢٣) متز : تاريخ الحضارة الاسلامية ٢٥٢/١
- (٢٢٤) مسكويه : المصدر السابق ١٤/٢
- (٢٢٥) ابن الجوزي : المصدر السابق ١٣٤/٩ : ابن الاثير : الكامل
- ٠ ٢١٤/٨
- (٢٢٦) الصابي : الوزراء ص ٦٤ وعن عسف المحسن للمصادر
- Bowen : op. cit., p. 212 من الوزراء والكتاب راجع:
- Sourdel : op. cit., TOME, II, p. 428.
- (٢٢٧) الصابي : المصدر السابق ص ٦٩، ٦٤
- (٢٢٨) راجع مسكويه : المصدر السابق ص ١٠٤/١
- (٢٢٩) الصابي : المصدر السابق ص ١١٩-١٢٠
- (٢٣٠) مسكويه : المصدر السابق ٢٤٤/١ : التنوخي : نشوار
- المحاضرة ٧٧/٢ وما بعدها
- (٢٣١) ابو الفداء : المختصر في اخبار البشر ٩٦/٣/١
- (٢٣٢) ممن كان قد قبض عليها من نساء آل الفرات دنانير ورهبان
- جارتنا زوجة المحسن بن الفرات الذي سلمهن الخصميبي الى ابن بعدشر
- فضربهن ضربا مبرحا ولم يقرأ بأكثر من الف دينار (الصابي: المصدر
- السابق ص ٦٩)
- (٢٣٣) مسكويه : المصدر السابق ١٥٥/١
- (٢٣٤) المصدر نفسه والصفحة : عريب : صلة الطبري ص ٨٨

- (٢٣٥) عريب : المصدر نفسه والصفحة .
- (٢٣٦) حمدان الكبيسي : عصر المقتدر ص ٢١٧ .
- (٢٣٧) مسكويه : المصدر السابق ٣٨/١ .
- (٢٣٨) هلال الصابي : الوزراء ص ٣٩ ؛ مسكويه المصدر نفسه ٨٨/١ .
- (٢٣٩) مسكويه : المصدر نفسه ١٤٩/١ .
- (٢٤٠) المصدر نفسه ١٠٤/١ .
- (٢٤١) ديوان ابن المعتز ١٣٦-١٣٧ ؛ الكميت - شديد الحمرة .
- (٢٤٢) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ٣٩٥/٩ .
- (٢٤٣) الديار بكري : تاريخ الخميس - المطبعة الوهيبية - القاهرة ١٢٨٣ هـ ٣١٤/٢ .
- (٢٤٤) الوزراء ص ٢٦٠ ، ٢٨١ ، ٢٩١ ، ٢٩٥ ، ٣٥١ ؛ وقد البسه المحسن بن الفرات جبة صوف واهانه وصفعه عشرة صفعات (تجارب الامم لمسكويه ص ١١٠ ، ١١١ ؛ ابن الجوزي : المنتظم ١٧٣/٦ ابن الاثير : الكامل ١٧٤/٦ ؛ Bowen: op. cit., p. 212
- (٢٤٥) مسكويه : المصدر السابق . طبعة امدوز ١٩٧/٥-١٩٨ .
- (٢٤٦) عريب : المصدر السابق ص ٤٨ .
- (٢٤٧) التنوخي : نشوار المحاضرة ٢٥/١ .
- (٢٤٨) مسكويه : تجارب الامم - مطبعة شركة التمدن الصناعية - بمصر ١٣٣٣ هـ/١٩١٥ م ١٢/٢ .
- (٢٤٩) ابن الجوزي :: المصدر السابق ٢٢٢/٦ ؛ عرفت السيدة بكونها كثيرة البر والانفاق في مجال الخير (الكبيسي: عصر المقتدر ص ١١٥ .
- (٢٥٥) التنوخي : نشوار المحاضرة ٢٧/١ .
- (٢٥٦) المصدر نفسه ٢٧٥-٢٧٦ ؛ عمران بن شاهين احد المستوليين على واسط وهو من قطاع الطرق ظهر في عهد معز الدولة واستمر بعده، وسكن أبو العريان بغداد هربا من أخيه (راجع مسكويه : تجارب الامم

١٨١/٢ ؛ ابن الاثير : الكامل ٥٣٢/٨ . والكرخي : هو ابو عبد الله الحسين بن دلال .

(٢٥٢) مسكويه : المصدر السابق (حوادث سنة ٣٥٠ هـ) ١٨٦/٢ -
١٨٧ .

٢٥٣) المصدر نفسه ١٨٦/٢ .

٢٥٤) ابن الجوزي : المنتظم ١١٦/٩ .

٢٥٤) ابن الجوزي : المنتظم ١١٦/٩ .

٢٥٥) المصدر نفسه ٢٠٣/٩ .

٢٥٦) مسكويه : المصدر السابق ٧٢-٧٥ .

٢٥٧) الوزراء ص ٩٢ .

٢٥٧) الوزراء ص ٩٢ .

(٢٥٨) كان الكوفي عاملا على واسط في وزارة ناصر الدولة الحمداني الذي تقلد منصب امير الامراء ببغداد ايضا- راجع التنوخي : نشوار المحاضرة ٦٢/٨ ، الفرج بعد الشدة ٥٧/١ .

(٢٥٩) جاء في كتاب الفرج بعد الشدة للتنوخي (من حق الدهقنة) ٥٧/١ .

(٢٦٠) التنوخي : نشوار المحاضرة ٩٨/٨ ، الفرج بعد الشدة - دار الطباعة المحمدية - القاهرة ١٣٧٥ هـ / ١٩٥٥ م ٥٧/١ .

(٢٦١) الصابي : الوزراء ص ٣٦٨ ؛ والعبرة من معانيها : الاصل الذي ترد اليه النظائر ، ويراد به هنا أوفر ما يكون من المحصول .

٢٦٢) الصابي : الوزراء ص ٣٨٦ .

٢٦٣) المصدر نفسه ص ٣٧٣ .

(٢٦٤) ابن الاثير : المصدر السابق ١١٧/٨ ؛ العيني : عقد الجمان ق ٢ ح ١٥ ورقة ٢٣٦ .

(٢٦٥) ابن الجوزي : المصدر السابق ١٤٧/٦ ، ١٥٣ ، ١٥٦ ، ١٨٧ ؛ الخطيب : تاريخ بغداد ١١٢/٨ ابن خلدون : العبر ٣/٣٧٠ ، ٣٧١ .

- (٢٦٦) ابو شجاع : المصدر السابق ص ١١٨؛ ابن الجوزي: المصدر السابق ١٢٧/٧ ؛ الذهبي : المصدر السابق م ٢ ص ١٥٤ .
- (٢٦٧) هلال الصابي : تاريخ ٤٠٣/٨ .
- (٢٦٨) ابن الجوزي : المصدر السابق ١١٣/٣ ؛ الذهبي : تاريخ الاسلام م ٢ ص ٢٤٩ ؛ والجوالي جمع جالية وهي جزية اهل الذمة واصلها ان الخليفة عمر بن الخطاب اجلى اهل الذمة عن جزيرة العرب فسموا جالية . ثم لزمهم هذا الاسم اني حلو ، واطلق على الجزية المأخوذة منهم .
- (٢٦٩) الصابي : تاريخ ٤٣٨/٨ ؛ ابن الجوزي : المنتظم ١٢٩/٨؛ الذهبي : تاريخ الاسلام م ٢ ص ٢٥٢ .
- (٢٧٠) مسكويه : المصدر السابق ٢١/١ ، ١٥٤ ؛ وسماه الوزير السلجوقي عماد الملك سنة ٥١٢ هـ ب (ديوان المفردات) انظر البنداري: تاريخ دولة آل سلجوق - مطبعة الموسوعات - مصر ١٣١٨ هـ/ ١٩٠٠ ص ١٢٠ .
- (٢٧١) المصدر نفسه ٨٤/١؛ ابو المحاسن: النجوم الزاهرة ٢٠٤/٣ .
- (٢٧٢) المصدر نفسه ٢٢٣/١ .
- (٢٧٣) ابكيس عصر المقتدر ص ٢٤٥-٢٤٦ ؛ الدوري : تاريخ العراق الاقتصادي ص ٢٧٩ .
- (٢٧٤) راجع ابن منظور : مختار الاغانى ٤٩-٥٠ .
- (٢٧٥) تاريخ الشعوب الاسلامية - بيروت ١٩٦٥ ط ٤ ص ٢٣٤ .
- (٢٧٦) ابن الجوزي : المصدر السابق ١٤٦/٦ ؛ ابن ابي اصيبعة: المصدر السابق ٢٠٤/٢ .
- (٢٧٧) الكبيسي : المصدر السابق ص ١١٥ .

(٢٧٨) الصولي : الاوراق ص ٤؛ الذهبي : العبر ٢٣٨/٥؛ الخطيب:
تاريخ بغداد ١٤/١٢؛ ابن الجوزي: المنتظم ١٢١/٦ ، ٢٥١؛ المسعودي:
مروج الذهب ٢٣٣/٤ ؛ عريب : صلة الطبري ص ٤٢ ، ٤٨ العيني: عقد
الجمان ق ٢ ج ١٥ ورقة ٢٢٤ ؛ ياقوت الحموي : معجم الادباء ٢٧٧/٥ -
٢٧٨؛ الصفدي: الوافي بالوفيات - مخطوط مصور في المكتبة المركزية
ببغداد - رقم ٩٢٠ ق ٢ ج ١٢ ورقة ١١٣٣ ، ١٣٣ ب.

Bowen, H.: op. cit., p. 128, 132, 150, 164, 182

‘(Ali bin Isa) Ency. of Islam, London 1960 Vol. 1,
pp. 386-387.

Sourdel: op. cit., TOME II, p. 399, 402, 419, 442

(٢٧٩) الصابي : الوزراء ص ٣٤٥ ، مسكويه : المصدر السابق
١١٠/١ ؛ ابن الجوزي : المصدر السابق ١٧٣/٦ .

(٢٨٠) مسكويه : المصدر السابق ١٥٩/١ .

(٢٨١) الوافي بالوفيات ق ٢ ج ١٢ ورقة ١٣٣ ب.

(٢٨٢) مجهول : العيون والحدائق - تحقيق نبيله عبدالمنعم ٢٥٣/٤؛
ابن الجوزي : المنتظم ١٢٨/٦ .

Sourdel: op. cit., TOME II, p. 402.